مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 25، العدد (2)، ص ص 73 - 117، الرياض (2013م/1434هـ)

مضامين الحوار مع النصارى «مجالاتها - مقاصدها - ضوابطها»

علي بن أحمد الأحمد *

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(قدم للنشر في 11/ 10/ 1433هـ؛ وقبل للنشر في 13/ 11/ 1433هـ)

المستخلص: تعنى هذه الدراسة بموضوع مضامين الحوار مع النصارى. ومن أهداف الدراسة: التعرف على مجالات مضامين الحوار مع النصارى والكشف عن مقاصد تلك المضامين وسبل تحقيقها، وبيان أبرز الضوابط التي تحفظ المضامين بسياج يقيها من التفلت أو الانحراف عن المقاصد المرعية في الشريعة. ومنهج البحث المستخدم هو: الاستقرائي والاستنباطي. ومن نتائج الدراسة: أن مضامين الحوار مع النصارى تندرج ضمن مجالين عامَّيْن هما: الدعوة إلى الله تعالى، والسياسة الشرعية. وأن كثيراً من الحوارات مع النصارى اليوم مضامين الدعوة ليس من أولوياتها. وأن ثمة عدد من ضوابط مضامين الحوار يجب مراعاتها للمحاور أوضحتها الدراسة. من التوصيات: أنه إذا كان واقع الحال في الحوار الرسمي مع النصارى لا يؤبه لمضامين حوار الدعوة؛ فلا أقل من تجويد مضامين السياسة الشرعية وعرضها بحكمة الداعية. يجدر بمؤسسات الحوار مع النصارى في العالم أن تتحد لتكتسب من اتحادها قوة تمكنها من معادلة الجانب النصراني في كثير من مسائل الحوار ومن ذلك عرض المضامين المناسبة في الحوار التي تحقق مقاصد الدعوة، لا أن يفرض عليها المضمون.

الكلمات المفتاحية: مضامين ، دعوة ، حوار ، نصارى ، مقاصد ، ضوابط.

Muslim-Christian Dialogue Contents: Scopes, Aims and Requirements

Ali Ibn-Ahmad Al-Ahmad *

Imam Muhammad ibn Saud Islamic University

(Received 29/08/2012; accepted for publication 29/09/2012.)

Abstract: This research studies the content dimension of dialogues with Christians. It aims to do the following: identify the scopes of the debate contents with Christians; define the underlying purposes of the contents; explore the ways of achieving the defined purposes; and define the main requirements of keeping discourse consistent with Shari‘ah purposes. The research applies the deductive and inductive approaches. With respect to its findings, the study reveals the following: the contents of the dialogues with the Christians fall into two broad categories, the category of *Da'wah* (the call to Islam) and the category of*Shar'i* policies; the content dimension does not represent a priority in current dialogues; and there is need for content requirements to guide debates and debaters. The study recommends that, in the absence of the Christian debater's interest in the *D'awah* category of contents, the Muslim debater be concerned, at least, with the *Shar'i* policy category, by mastering and presenting it skilfully and wisely. The Muslim institutions worldwide that are involved in discourse with Christians should form a united front so that their efforts can be more effective and efficient, especially with regard to debating issues in the content dimension. This will serve the purposes of *Da'wah* on the one hand, and will provide freedom of choosing debate contents on the other hand.

Keywords: Dialogue contents, *Da'wah/Daawah,* inter-faith dialogue, Christians, debate requirements, *Shar'i* policy.

(*) أستاذ مشارك بقسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (9747) الرمز (11423)

(*) Associate Professor, Department of Da'wah and Ihtissab, College of Da'wa and Media, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University Riyadh, KSA, p.o box: 9747, Postal Code: 11423

e-mail: al_ah@hotmail.com :البريد الإلكتروني

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن المعلوم أنَّ الحوار أسلوب أصيل في الإسلام منذ بعث الله رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة، ومن قبل كان الأنبياء يحاورون أقوامهم؛ لتبليغهم الرسالة السماوية. وشواهد ذلك كثيرة في القرآن الكريم.

والحوار واسع النطاق ومتعدد المجالات، واليوم أصبح أسلوباً عالمياً، يتواصل من خلاله أتباع الديانات المختلفة، وتنشط له المؤسسات والمنظمات الدولية،كما يعتني به كثير من أهل العلم، وأرباب الفكر، ورجال السياسة في العالم، باعتباره مسلكاً اتفقت عليه حضارات الشعوب؛ من أجل تبادل الآراء والخبرات، وتحقيق المصالح من جهة، وكونه سبيلاً مبيناً للدعوة إلى المعتقدات بين أصحاب الديانات في الأمم المختلفة من جهة أخرى[1].

والحوار مع النصارى له أبعاد متنوعة: دعوية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية. وهو في كل ذلك يرتكز على مضامين، بموجبها يتحدد مسار الحوار، ومن ثم يمكن ربط نتائج الحوار بمقدماته؛ لتكون النتائج في

(1) لقد بات واضحاً أن الحوار في المنظور الغربي أسلوب للتنصير، إضافة إلى كونه يحقق مكاسب متنوعة، وهذا الأمر ليس خفياً، بل هو معلن في وثائقهم الرسمية، فمما جاء في الكتاب الصادر عن الفاتيكان عام 1969م الآتي:

1 – هناك موقفان لا بد منهما أثناء الحوار: أن نكون صرحاء، وأن نؤكد مسيحيتنا وفقاً لمطلب الكنيسة.

2 – سيفقد الحوار كل معناه إذا قام المسيحي بإخفاء أو بتقليل قيمة معتقداته التي تختلف مع القرآن. =

= 3 – لا يكفي أن نتقرب من المسلمين، بل يجب أن نصل إلى درجة احترام الإسلام، على أنه يمثل قيمة إنسانية عالية، وتقدماً في التطور الديني بالنسبة للوثنية.

4 – أن الحوار بالنسبة للكنيسة هو عبارة عن أداة، وبالتحديد: عبارة عن طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم.

انظر: كتاب الفاتيكان: توجيهات من أجل حوار بين المسيحيين والمسلمين، نقلاً عن كتاب «التنصير»، د. عبد الرحمن الصالح ص (62 – 66).

كما أصدرت الكنيسة الكاثوليكية وثيقة بعنوان (حوار وبشارة) عام 1991م، جاء فيها: «إن المسيحيين – وهم يعتمدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى – يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدهم... نظراً إلى هذا الهدف – أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى الله يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة، وفي أثناء هذا الارتداد قد يولد القرار بالتخلي عن موقف روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر». أما «مجلس الكنائس العالمي» فقد صرح في كتاب (توجيهات للحوار) بالقول: «يمكننا – بكل صدق – أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع المسيح في أيامنا». انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد عبد الرحمن القاضي (2/ 780 – 782). وهذا كله يوضح أن الحوار لديهم مع أطراف أخرى له مغزى دعوي بعيد المدى، وهذا لا يعني هروب المسلمين من استثمار هذا الأسلوب؛ فالحوار معهم مطلوب استناداً لأهميته وثمرته في مجالات كثيرة، منها الدعوة إلى الإسلام، وتحقيق المصالح المعتبرة.

إطارها الصحيح بعيدة عن أي خلل شرعي، أو ارتجال عاطفي، يحرف مسار الحوار عن مقصده الأسنى.

وقد كُتب في مجال الحوار مع غير المسلمين - بصفة عامة - من جوانب متعددة، منها ما يتصل بنشأة الحوار، وأساليبه، وطرقه، وآدابه، وعوامل نجاحه إلى غير ذلك، وهي - بلا شك - معالم مهمة ينبغي لمن يتصدى للحوار أن يلم بها، ويعرف شذرها ومذرها، واستكمالاً لتلك الجهود العلمية ومدِّ رواقها، فقد رغبت أن أسهم في إبراز جانب مضامين الحوار مع أتباع الديانة النصرانية تحديداً، نظراً لانفتاح عدد من القيادات الدينية من النصارى أفراداً ومؤسسات على العالم الإسلامي في هذا العصر، وتفاعلهم الواضح مع مبدأ الحوار عبر قنواته المتنوعة. فقمت بهذه الدراسة تحت عنوان: «مضامين الحوار مع النصارى: مجالاتها- مقاصدها- ضوابطها» وفيما يلي مزيد إيضاح لهذه الدراسة من خلال ما يلي:

أولاً: أهمية الدراسة:

يمكن بيان أهمية دراسة الموضوع في ثلاثة أمور، وهي:

1 - أن الحوار أحد أهم أساليب تبليغ الدعوة للنصارى ماضياً وحاضراً، بل في زماننا يعد الحوار المسلك الحضاري الذي من خلاله يستطيع الدعاة إلى الله - تعالى- إيصال مضامين الرسالة السماوية الخاتمة للنصارى، وتوضيح وتصحيح كثير من المضامين المغلوطة عن الإسلام والمسلمين.

2 - انتهاز كثير من المنصرين فرص وجود ثلة من المسلمين في بلاد العالم الغربي في ميادينها الحيوية، لمدّ جسور الحوار معهم، والسعي إلى تنصيرهم، مما يستلزم وعي المسلم التام بالحوار معهم، وهو ما يستدعي من المتخصصين استجلاء مضامين الحوار بمجالاته وضوابطه ومقاصده[2].

3 - أن مضامين الحوار تمثل لب الحوار ومرتكزه، فمنها ينطلق، وفي فلكها يدور، فإذا صرفت العناية تجاهها - من حيث أولويتها، وشمولها، ومدى تحقيقها لمقاصد الدعوة - يمكن أن يسهم ذلك في وضوح الرؤية للدعاة، وتحقيقهم أهداف الحوار وغاياته الكلية.

ثانياً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ثلاثة أمور:

1 - التعرف على مجالات مضامين الحوار مع النصارى في أطرها العامة من خلال التأصيل الشرعي لها.

---

(2) ومن تلك الميادين: المواقع السياحية التي يرتادها بعض السياح المسلمين، والجامعات، ومراكز تعليم اللغة للطلاب المبتعثين، ومراكز العلاج.. ولا يخفى أن استهداف هذه الفئات بالحوار من قبل النصارى له مخاطر عقدية جمة، تستوجب على كل أحد منهم أن يتسلح بالعلم الشرعي، ويتزود بمضامين الحوار؛ ليتمكن من الثبات في ذلك الموقف، بل دعوتهم.

2 - الكشف عن مقاصد المضامين التي تكون محل الحوار مع النصارى، وسبل تحقيق تلك المقاصد من جانب التخصص الدعوي.

3 - بيان أبرز الضوابط الشرعية التي تحمي مضامين الحوار مع النصارى من التفلّت الذي يشتتها، وتحفظ محتواها النافع؛ ليتحقق من وراء ذلك مغانم للدعوة، سواء أكانت مباشرة، أم غير مباشرة.

ثالثاً: تقسيمات الدراسة:

جاءت فِقَرُ الدراسة في ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد، قسمتها على النحو التالي:

- **التمهيد،** ويشمل أمرين:
  - الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.
  - الثاني: مشروعية الحوار مع النصارى وغيرهم.
- **المبحث الأول: حوارات المسلمين مع النصارى، وأبرز مضامينها،** ويشمل المطلبين التاليين:
  - المطلب الأول: حوارات النبي ﷺ مع النصارى، وأبرز مضامينها.
  - المطلب الثاني: حوارات الصحابة رضي الله عنهم مع النصارى، وأبرز مضامينها.
- **المبحث الثاني: مجالات مضامين الحوار مع النصارى، وأبرز مقاصدها،** ويشمل المطلبين التاليين:
  - المطلب الأول: مجالات مضامين حوار الدعوة، وأبرز مقاصدها.
  - المطلب الثاني: مجالات مضامين حوار السياسة الشرعية، وأبرز مقاصدها.
- **المبحث الثالث: ضوابط مضامين الحوار مع النصارى،** ويشمل المطلبين التاليين:
  - المطلب الأول: الضوابط العامة لمضامين الحوار مع النصارى.
  - المطلب الثاني: الضوابط الخاصة لمضامين الحوار مع النصارى.
- **الخاتمة،** وتشمل: أبرز النتائج والتوصيات.

سائلاً الله العلي القدير أن ينفع المسلمين بهذا البحث، وأن لا يحرمنا أجره.

* * *

تمهيد

أولاً: التعريف بمصطلحات عنوان الدارسة:

ورد في عنوان الدراسة مصطلح «مضامين الحوار مع النصارى»، ويمكن إلقاء الضوء على العنوان من خلال تعريف المضامين، وتعريف الحوار، وبيان المقصود بالنصارى:

- تعريف المضامين في اللغة:

جاء في لسان العرب أن «المَضامِين» هي ما في بطون الحوامل من كل شيء، كأَنهن تضَمَّنَّه، وقيل: المضامين هي ما في أَصلاب الفحول، وهي جمع مَضْمُون، وأَنشد بعضهم:

إنَّ المضامينَ التي في الصُّلْبِ * ماءُ الفُحولِ في الظُّهورِ الحُدْبِ

ويقال: ضَمِنَ الشيءَ، بمعنى: تَضَمَّنَه، ومنه قولهم: مَضْمُونُ الكتاب كذا وكذا[3].

وذكر صاحب تاج العروس أن كل شيء جعلته في وعاء فقد ضَمَّنْتَهُ إياه، والمُضَمَّنُ من الشعر ما ضَمَّنْتَهُ بيتا، وتقول: فهمت ما تضمنه كتابك، أي: ما اشتمل عليه، وكان في ضمنه، وأنفذته ضِمْنَ كتابي، أي: في طيه. وقال: «ضمن الشيء الشيء إذا أودعه إياه، كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر، وقد تضمنه»[4].

- تعريف الحوار في اللغة:

قال ابن فارس: «الحاء، والواو، والراء، ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً»[5].

وبتتبع معنى الأصول الثلاثة في اللغة يظهر أن دلالتها شاملة لمعانٍ دقيقة تفيد في تحديد المعنى الاصطلاحي للحوار في هذه الدراسة.

فأما الأصل الأول «الحَوَرُ» بمعنى اللون: فيدل على شدة بياض العين في شدة سوادها، ومن هذا الباب يقال: حورت الثياب، أي: بيضتها[6].

ومنه سمي الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وسمي الحواريون لبياض ثيابهم»[7].

وأما الأصل الثاني للحور فهو «الرجوع» قال - تعالى -: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الانشقاق:14)، وكل نقص ورجوع حوْر[8]. ومنه حديث: (أعوذ بالله من الحور بعد الكور)[9]، و«الحور» هنا: النقصان. قال ابن الأثير: أي نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة. وقال ابن منظور: «المحاورة المجاوبة،والتحاور التجاوب..»[10].

والأصل الثالث هو «الدوران»، ومنه المحور: الخشبة التي يدور فيها المحالة [11].

وبالنظر إلى مفهوم الحوار بهذه الأصول اللغوية الثلاثة، يتضح أن «الحوار» بمعنى: المحاورة، والمخاطبة، والمجاوبة، ومراجعة الكلام، يدخل تحت الأصل الثاني الذي هو بمعنى الرجوع، وإذا توسعنا في الأصلين: الأول والثالث، نجد أنهما يمتان بصلة قوية لمفهوم الحوار؛ إذ من المعلوم أن المحاورة يتم فيها دوران الكلام من شخص إلى آخر من المتحاورين، ثم يعود، وهكذا،

(3) انظر: لسان العرب، لابن منظور (13/ 257).

(4) تاج العروس، للزبيدي، (8096).

(5) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 116).

(6) المرجع السابق.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي، باب: مناقب الزبير بن العوام ص (764).

(8) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 116).

(9) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: ما يقولُ إِذَا رَكِبَ إلى سَفَرِ الحَجِّ، رقم الحديث (2401).

(10) لسان العرب، لابن منظور، مادة (حور).

(11) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 116).

فهو يدخل في الأصل الثالث الذي بمعنى الدوران، وأما الأصل الأول فيدخل في المفهوم باعتبار ما ينبغي أن يتسم به المتحاورون من الصفاء، ونقاء السريرة، والإخلاص لله - تعالى - في طلب الوصول إلى جوهر الحقيقة[12].

- مفهوم الحوار في القرآن الكريم:

ورد لفظ «الحوار» في القرآن الكريم في موضعين: الأول قوله - تعالى -: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (الكهف: 34)، قال الإمام البغوي: «هو يحاوره، أي: يخاطبه، ويجاوبه»[13]، الثاني قوله - تعالى-: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف:37)، ويفهم من هذه المواضع في سياقاتها العامة أن الحوار مراجعة الكلام، وتداوله بين طرفين.

- تعريف الحوار في الاصطلاح الحديث:

يمكن إجمال تعريفات الدارسين لهذا المصطلح بأنه: محادثة بين شخصين، أو فريقين، أو أكثر في موضوع معين. لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفه الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من التطابق في وجهات النظر، بعيداً عن أي خصومة، أو أي تعصب مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على لسان الطرف الآخر[14].

- تعريف مضامين الحوار:

استناداً إلى التعريفين السابقين لكل من المضامين والحوار يمكن أن نعرّف مضامين الحوار بأنها: «**القيم والمعاني والمفاهيم التي تكون محل الحوار، بهدف تبليغها للطرف الآخر**» وطرفا الحوار في هذا البحث هم الدعاة المسلمون وغيرهم من النصارى.

- المقصود بالنصارى:

النصارى هم الذين يدينون بالنصرانية، والنصرانية هي: الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم.. لكنها سرعان ما فقدت أصولها، واختلطت بمعتقدات محرفة وفلسفات وثنية[15]. وسموا بذلك - كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله -: «لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم: أنصار، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾

(12) انظر: الحوار: أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟، لموسى بن يحيى الفيفي ص (29).

(13) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي (3/ 162).

(14) انظر: آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، د. عبدالعزيز التويجري ص (9)، ومقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، لمحمد سماك ص (20)، وحوار أم جدل دراسة مصطلحية لمفهومي الحوار والجدل، د. عادل نور الدين ص (16).

(15) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص (499).

(آل عمران: 52)، وقيل: إنهم سموا بذلك؛ من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها: ناصرة»[16].

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة هنا إلى الفرق بين الحوار، ومصطلحي الجدل والمناظرة؛ إذ الجدل هو: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة،أو يقصد به تصحيح كلام الخصم، وهو الخصومة في الحقيقة[17]. ويكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال، فيتميز مفهوم الجدل بعنصر القوة والخصومة والغلبة، وهذا لا يكون في الحوار[18].

أما المناظرة فعرفت بأنها: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»[19]. فهي فن من فنون القول ينتج عن اجتماع طرفين من أهل الفكر والرأي في مجلس، يضم جمهوراً، ويقع بينهما بحث في مضمون يتفق عليه بقصد إظهار الحق والإذعان له، ويكون الجمهور أو العلماء المتخصصون حكماً بين المتناظرين، وقد تبدأ المناظرة برأي أو سؤال، وتنتهي بانقطاع حجج أحد طرفيها واعترافه، فتكون الغلبة للآخر[20].

ثانياً – مشروعية الحوار مع النصارى وغيرهم:

إن الحديث عن مشروعية الحوار مع النصارى وغيرهم يبنى على الموقف الصحيح مع غير المسلم، أهو العزلة والمقاطعة التامة، أم غير ذلك؟ ويمكن القول بأن معالم الموقف الصحيح تجاههم تتضح في عدد من الأمور، منها: الاشتراك في القيمة الإنسانية، والتعامل معهم في كثير من الأمور، وفق مبدأ «المعاملة بالحسنى»، وكذلك التعامل معهم في شؤون الحياة الدنيا، والمخالطة

(16) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (1/ 104).

(17) انظر: التعريفات، للجرجاني (32).

(18) انظر: تاريخ الجدل، لمحمد أبو زهرة ص (5)؛ لأن مادة «جدل» ترجع في اللغة إلى معنى القوة، والامتناع، والشد، والإحكام. وقد أشار ابن تيمية إلى أن الجدل هو من باب دفع الصائل، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن، وذلك عند قول الله – تعالى –: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل: 125) بقوله: «أما الجدل فلا يدعى به، بل هو من باب دفع الصائل، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن، وأبان أن الله طلب الجدال بالتي هي أحسن، ولم يقل بالحسنة، كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة». الرد على المنطقيين، لابن تيمية (468).
وهذا بالطبع لا يعني أن مفهوم الجدل بمنأى عن مفهوم الحوار، بل بين الجدل والحوار علاقة مصطلحية، ومساحة مشتركة من القيم والسمات، والترتيب في طرائق الدعوة=

=وأساليبها، كما أن القرآن الكريم ذم الجدال بالباطل، وامتدح المجادلة بالتي هي أحسن. انظر للتوسع: حوار أم جدل دراسة مصطلحية لمفهومي الحوار والجدل، د. عادل نور الدين.

(19) آداب البحث والمناظرة (2/ 3).

(20) انظر: المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، د. رحيم أحمد الحسناوي ص (54).

لأمور مشروعة، والبراءة منهم ومن دينهم، وأخيراً دعوتهم إلى الحق[21].

فالحوار - إذاً - مع النصارى وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة مسلك مباح، إذا اتصل بأمور الحياة العامة،كما أنه مشروع لبيان الحق، وعرض القيم المثلى التي جاء بها الإسلام، بل يقرر العلماء وجوبه إذا اقتضى الأمر ذلك، كالحوار المتضمن للدعوة إلى الله، قال - تعالى -: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:104).

ولهذا فعموم آيات الدعوة تشتمل على مبدأ الحوار، من ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:33)، وقوله - جل وعلا -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ (المائدة:67).

إن هذه الآيات الكريمة الآمرة بالدعوة إلى الله نتج عنها قيام النبي ﷺ بالتواصل مع غير المسلمين، من خلال عدة أمور، كان من بينها الحوار، وإذا كانت الدعوة لا تقوم إلا بأسلوب الحوار - في بعض الظروف والأحوال كحال عصرنا - فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله مستنبطاً من حواره ﷺ نصارى زمنه: «ومنها: جواز مجادلة المدعوين من النصارى ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم»[22].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد قصة أهل نجران: «وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته»[23]. وسبق أن قدمنا أنه مع وجود فوارق بين مصطلحي الحوار والجدل لا يمكن الفصل تماماً بين المصطلحين في سياق إثبات مشروعية الحوار، فقد أورد القرآن الكريم قصص عدد من الأنبياء عليهم السلام الذين حاوروا أقوامهم؛ لأجل الدعوة؛ ولذا قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: «فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله - تعالى - عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود:32)، وقوله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة:258)، وقوله: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (النحل:125)، وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع»[24]. ولا ريب أن الحوار مع النصارى - سواء على الصعيد المؤسسي أو الفردي - هو الطريق الرئيس الذي

(21) وأدلة هذه الأمور كثيرة للتوسع حولها ينظر: فقه الاحتساب على غير المسلمين، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي ص (23).

(22) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية (3/ 638 - 644).

(23) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (8/ 679).

(24) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (7/ 156).

يقود إلى التعارف بين الناس، كما قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ (الحجرات:13)، ومن ثم يكون المسلك الحكيم في استثمار الحوار في دعوتهم بالمضامين المناسبة، كما قال – تعالى –: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران:64).

***

المبحث الأول

حوارات المسلمين مع النصارى وأبرز مضامينها

من استجلى التاريخ الإسلامي، وغاص في ثبج بحره، تبرز له صور تتابع مشرقة حافلة بدعوة النصارى إلى الإسلام، وهي تشي بحوارات راقية في قيمها؛ إذ اشتملت على مضامين مهمة، تختلف بحسب طبيعة الظرف والموقف، ويمكن عرض نماذج منها مع الإشارة إلى مضامينها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: حوارات النبي ﷺ مع النصارى، وأبرز مضامينها:

صفحات تاريخ الدعوة، فيها صور عديدة للحوار الإسلامي الذي جرى مع النصارى، ويبدو ذلك واضحاً في مرحلة ما بعد صلح الحديبية، الذي جعله الله فتحاً مكن من الحوار مع فئات من المدعوين، ومنهم النصارى[25].

إن هذه الهدنة التي تم توقيع اتفاقيتها في السنة السادسة من الهجرة مع مشركي مكة، استثمرها النبي ﷺ في مد جسور التواصل والحوار مع النصارى وغيرهم، سواء في محيطه الجغرافي الصغير داخل الجزيرة العربية أو خارجها، ويمكن تناول هذا المطلب من خلال أبرز مضامين تلك الحوارات، وهي ما يلي:

أ- الدعوة إلى الإسلام:

انتظمت الدعوة إلى الإسلام كل حواراته ﷺ مع رؤساء الدول الكبرى في ذلك الوقت من أصحاب الديانة النصرانية التي سادت الأقاليم التابعة للرومان، وكذلك مع أمراء الولايات العربية التي تتبع الرومان آنذاك، وذلك وفق الأساليب المتعارف عليها دولياً، حيث إنه لما أراد ﷺ إرسال الرسائل إلى ملوك الدنيا، قيل له: إنهم لا يقبلون الكتاب إلا مختوماً؛ فاتخذ خاتماً لأجل ذلك، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (لما أراد النبي

---

(25) انظر تفسير قوله – تعالى –: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: 27): في الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، وذكر نحوه ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (3/ 419). فكان صلح الحديبية – بحق – فتحاً عظيماً حقق مكاسب جمة للدعوة آنذاك، وفيما يتصل بموضوع الدراسة: التمكن من مد جسور التواصل والحوار مع النصارى. وللتوسع في معرفة المكاسب انظر: الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة، لأحمد محمد العقيلي ص (225).

ﷺ أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه «محمد رسول الله»)[26].

ومن حواره مع النصارى أنه لما قدم عليه الجارود بن عمرو بن حنش، وكان نصرانياً[27]، كلمه رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه،ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟.

فقال رسول الله ﷺ: (نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه). فأسلم، وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان فقال: (والله ما عندي ما أحملكم عليه). قال: يا رسول الله، إن بيننا وبين بلادنا ضوالا من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا، قال: لا، إياك وإياها؛ فإنما تلك حرق النار. قال: فخرج الجارود راجعا إلى قومه، وكان حسن الإسلام صلبا على دينه حتى مات[28].

وإذا تخطينا تلك المرحلة المهمة التي تعد بداية الحوار الإسلامي النصراني، والتي كان للنبي ﷺ ميزة السبْق فيها، والمبادرة إليها على المستوى العالمي آنذاك من بين كل القادة والملوك والرؤساء، فلا مناص من القول: إن حواره ﷺ كان يتسم بأدب يسترقُّ الأفئدة، وتشع ألفاظه بالصدق، ومن معالمه أنه كان ينزل الناس منازلهم، ويلقبهم بألقابهم التي تتضمن التكريم والتفخيم، فقد كتب إلى هرقل كتاباً صدّره بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى...)[29].

وهكذا استمر حوار النبي ﷺ مع أتباع الديانة النصرانية بخطوات متئدة وبصورة متتابعة عبر تقدم الدولة الإسلامية الجديدة بمضامين كانت الدعوة هي أساسها.

ب – إزالة الشبهات المثارة:

من نماذج حواره ﷺ مع النصارى محاورة رؤساء بعض قبائل العرب النصرانية، كعدي بن حاتم رضي الله عنه، وتضمن الحوار إزالة الشبهات التي لدى المدعو بقص عدي رضي الله عنه قصته بقوله:

---

(26) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى، وما يقاتلون عليه، وما كتب ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، رقم الحديث (2938) ص (595).

(27) هو الجارود بن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً. انظر البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (3/ 44).

(28) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 44)، والبداية والنهاية (3/ 48).

(29) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ص (595)، رقم الحديث (294)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، مختصر المنذري، رقم (1121).

قال عدي بن حاتم ﷺ: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءا شريفا، **وكنت نصرانياً**، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي.. وذكر قصته إلى أن قال: فخرجت حتى أقدم علي رسول الله، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟.

فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا، تكلمه في حاجتها، قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إليَّ، فقال: (اجلس على هذه)، قلت: بل أنت فاجلس عليها. قال: (بل أنت). فجلست، وجلس رسول الله بالأرض، قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: (إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسيا)[30]؟ قلت: بلى! قال: (أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟)[31]. قلت: بلى! قال: (فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك)، قلت: أجل! والله، ثم قال: (لعلك - يا عدي - إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه، ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشك أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية[32] على بعيرها، حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشك أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم). قال عدي ﷺ: فأسلمت.

فكان ﷺ يقول: مضت اثنتان، وبقيت الثالثة، والله لتكونن!، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج البيت، وأيم الله! لتكونن الثالثة؛ ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه[33].

المطلب الثاني: حوارات الصحابة ﷺ مع النصارى، وأبرز مضامينها:

من خلال دراسة السيرة، يمكن أن نقول: إن أول لقاء حواري بين الإسلام والنصرانية بصورة جماعية كان

(30) الركوسية: هم قوم لهم دين بين النصاري والصابئين. انظر: لسان العرب، لابن منظور (6/ 101)، مادة (ركس).

(31) المرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (8/ 101)، مادة (ربع).

(32) القادسية: في العراق، قيل سميت بذلك لأن إبراهيم ﷺ دعا لها فقال: قدست من أرض، وبهذا الموضع كانت وقعة القادسية المشهورة، انظر: معجم البلدان الحموي (4/ 8).

(33) قال ابن كثير ﷺ: «هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أخر». انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (3/ 59). وانظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (3/ 164) حيث أورد القصة مختصرة بإسناد قوي.

أثناء البعثة الإسلامية التي بعثها النبي ﷺ إلى الحبشة؛ من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة المتمثلة في المسلمين الجدد، وذلك لوقايتهم من بطش قريش.. والظلم الذي مني به المسلمون في تلك المرحلة في مكة المكرمة.

وإذا تأملنا مضمون الحوار المشار إليه نجده حواراً يتعلق بالدين الإسلامي والدعوة إليه، وإزالة الشبهات المثارة عن موقف الإسلام من المسيح عليه السلام ونظراً لأصالته في الباب لا مناص من سياقه هنا.

لما كان أصحاب محمد ﷺ في الحبشة أرسل النجاشي إليهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول – والله – ما علمنا، وما أمرنا به رسول الله ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوا – وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا كتبهم حوله – سألهم فقال لهم:

ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟.

فكلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة،ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك.

وعندما طلب النجاشي شيئاً مما جاء به ﷺ قرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى أساقفته حتى ابتلت كتبهم. ثم قال النجاشي مخاطباً مبعوثي قريش: إن هذا الكلام والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا، والله لا أسلمهم إليكما أبداً.

فلما خرجوا من عنده قال مبعوث قريش: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم. ثم غدا عليه من الغد، فقال: – أيها الملك –: إنهم يقولون في عيسى

ابن مريم قولا عظيماً. فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ: نقول فيه الذي جاءنا به رسول الله ﷺ هو: عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال لجعفر: والله ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود. ثم أعطى المسلمين الأمان في بلاده[34].

ولقد تأثر القسيسون والرهبان الذين حضروا مجلس الحوار حينما سمعوا القرآن، فقد انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فأنزل الله قوله - تعالى -: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة:82)[35].

ومن صور حوار الصحابة مع النصارى ذات المضمون الدعوي حوار أمية الضمري ﷺ حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، وحوار حاطب بن أبي بلتعة ﷺ مع المقوقس ملك دين النصرانية بمصر الذي قال في آخر حديثه لحاطب عن محمد ﷺ: «القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك». وحوار عمرو بن العاص ﷺ مع جيفر وعبيد ابني الجلندى مَلكي عمان[36]، وحوار خالد بن الوليد ﷺ مع جَرجَة مقدم عسكر الروم يوم اليرموك[37]، وحوار هشام بن العاص الأموي ﷺ في عهد أبي بكر الصديق ﷺ مع هرقل حيث قال: «بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام»[38] فكلها حوارات، كانت معالم الدعوة فيها واضحة كالشمس.

وحينما نتتبع حركة الحوار في الإسلام التي ذكرنا منها نتفاً يسيرة، نجد أن بدايته التطبيقية منذ عهد النبوة، وامتدت مع مراحل انتشار الإسلام بجهود الصحابة والتابعين الكرام، وكثير من سلف العلماء[39] من خلال حواراتهم مع النصارى[40] التي اتسمت بكونها مزيجاً من

(34) انظر: صحيح السيرة النبوية، للألباني ص (176). والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد (208).

(35) روى ذلك الإمام الطبري في تفسيره بإسناد صحيح. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري (4/ 301). وانظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (1/ 174).

(36) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود النصارى، لابن قيم الجوزية، ت: مصطفى أبو النصر ص (71 - 78).

(37) انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (9/ 556).

(38) انظر: تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (2/ 400).

(39) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع، لعبدالمجيد الشرفي (2/ 416).

وللتوسع حول المسرد التاريخي للحوار مع النصارى، ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي، لبسام داود عجك.

(40) انظر: على سبيل المثال: حوارات ابن تيمية مع رؤساء الدين، وكبار القسيسين النصارى، مجموع الفتاوى (27/ 461)، و(15/ 228)، و(35/ 399)، وما قاله ابن قيم الجوزية في=

الرحمة والعزة، ومن الهيبة والنبل.

ولا زال أهـل العلـم ينحـون هـذا المنحـى، ويقصدون النصارى بالحوار المشتمل على مضامين تتعلق بقضايا متنوعة عبر الوسائل المتاحة.

ويمكن أن نخلص مما سبق إلى أن تلك الحوارات على مرّ التاريخ كانت ذات مضامين مهمة، ينساق البحث فيما يلي إلى التعمُّق فيها استجلاءً لمجالاتها، وإبرازاً لمقاصدها، وإيضاحاً لضوابطها.

* * *

المبحث الثاني

مجالات مضامين الحوار مع النصارى وأبرز مقاصدها

تناول المبحث السابق نماذج من الحوار الإسلامي مع النصارى، وبدا واضحاً أن الحوار كان يرتكز على أسس من المضامين. وقد ألمحنا إلى أن معالم الموقف الصحيح معهم تتبين في عدد من الأمور، منها: الاشتراك في القيمة الإنسانية، والتعامل معهم في كثير من الأمور وفق مبدأ «المعاملة بالحسنى»، وكذلك التعامل معهم في شؤون الحياة الدنيا،والمخالطة لأمور مشروعة، والبراءة منهم ومن دينهم،وأخيراً دعوتهم إلى الحق[41].

فمن خلال هذه المعالم للموقف الشرعي يتجلى لنا أن مضامين الحوار بأنواعها بالجملة، إما أنها تتعلق بمجال الدعوة إلى الله، أو بمجال السياسة الشرعية، وهما – أي: المجالان – ينبغي أن يكونا ضمن إطار يحدد سماتها، وقد عرّفنا المضامين بأنها: «**القيم والمعاني والمفاهيم التي تكون محل الحوار، بهدف تبليغها للطرف الآخر**».

وهذه المضامين ليست مقصودة لذاتها، بل لها مقاصد أُخَر تتحقق في سياق مضامين تلك الحوارات، قال الشاطبي رحمه الله: «الأعمال الشرعية ليست مقصودة لأنفسها، وإنما قصد بها أمور أخر هي معانيها،وهي المصالح التي شرعت لأجلها»[42].

وتأسيساً على ما سبق يمكن صياغة تعريف لمقاصد المضامين بأنها: **المصالح الكلية والغايات المعتبرة التي تتحصل من خلال القيم والمعاني والمفاهيم محل الحوار.**

وفي ضوء هذه التعريفات يمكن الحديث عن عنوان المبحث من خلال المطلبين التاليين:

=هذا الصدد يعبر عن وفرة الحوار آنذاك، فقال: «ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممن يعظمهم الجهال من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به. فالله طليب قطاع طريق الله، وحسيبهم». إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية (2/ 416).

وللتوسع حول المسرد التاريخي للحوار مع النصارى، ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي، لبسام داود عجك.

(41) واستعراض أدلة هذه الأمور كثيرة، للتوسع حولها ينظر: فقه الاحتساب على غير المسلمين، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي.

(42) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (1/ 70).

المطلب الأول: مجالات مضامين حوار الدعوة، وأبرز مقاصدها:

الفرع الأول: مجالات مضامين حوار الدعوة:

من خلال استعراض النصوص الشرعية، ومضامين حوارات النبي ﷺ مع النصارى، يتضح أن السمة البارزة هي دعوتهم إلى الله، والسعي لهدايتهم إلى الدين الإسلامي، وفيما يلي أبرز مفردات المضامين في مجال الدعوة:

أولاً – عرض الكلمة السواء:

لقد جاء مضمون الدعوة إلى «الكلمة السواء» التي دل عليها قوله – تعالى –: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:64).

ويكون ذلك من خلال عرض التوحيد بنقائه وصفائه،قال الإمام الطبري: «قل – يا محمد – لأهل الكتاب – وهم أهل التوراة والإنجيل –: ﴿ تَعَالَوْا۟ ﴾ هلموا ﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ ﴾، يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحد الله، فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً. وقوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له، كما يسجد لربه، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾، يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا – أيها المؤمنون – للمتولين عن ذلك: ﴿ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾»[43].

ثانياً – التأكيد على نبوة محمد ﷺ ومعجزاته:

وبيان ذلك من خلال أمرين:

- **الأول: إثبات نبوته ﷺ من خلال نصوص العهد القديم، والعهد الجديد للإنجيل**، فقد ذكر الله – تعالى – أن التوراة والإنجيل قد بشَّرتا بنبوة محمد ﷺ، فقال – سبحانه –: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:157). ولذا فإن من المهم مخاطبة النصارى ضمن الحوار من خلال نصوص الكتب المتقدمة؛ لإثبات نبوة محمد ﷺ؛ من أجل دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم في أن الإسلام هو دين الله، وأنه خاتم الرسالات،

(43) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري (3/ 301). قال الطاهر ابن عاشور: «وتعالوا: هنا مستعملة في طلب الاجتماع على كلمة سواء، وهو تمثيل: جعلت الكلمة المجتمع عليها بشبه المكان المراد الاجتماع عنده». التحرير والتنوير، لابن عاشور (3/ 116).

حيث تضمن العهد القديم والعهد الجديد نصوصاً عديدة تبشر بنبي الله محمد ﷺ في أكثر من موضع، إما صراحة وإما إشارة، وهو ما يعني اعترافاً صريحاً بالإسلام(44).

كما أن إثبات نبوة محمد ﷺ في الحوار مع النصارى من خلال معجزاته منهج قرآني، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ﷺ ومعجزاته، تزيد على ألف معجزة، مثل: انشقاق القمر، وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولده، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل من غير أن يعلمه إياها بشر، فأخبرهم بالماضي، مثل قصة آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، والمسيح، وهود، وشعيب، وصالح، وغيرهم، وبالمستقبلات، وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلّم هو منه، بل، ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان هو يحسن لسانا غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً، ولا يقرأ كتاباً مكتوباً، ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين: سفرة، وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب، ولا غيرهم، وسفرة أخرى، وهو كبير، مع ركب من قريش لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب، وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بحيرى الراهب بنبوته، وما ظهر منه مما دلهم على نبوته؛ ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله»(45).

- **الثاني: بيان استحالة الإيمان بنبي من الأنبياء مع إنكار نبوة محمد ﷺ.**

وهذا يتبين بوجوه:

الوجه الأول: أن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته - كما تقدم - من خلال كتبهم، وأمروا أممهم بالإيمان به، فمن أنكر نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به، وخالفهم فيما أمروا، وأوصوا به من الإيمان به.

الوجه الثاني: أن دعوة محمد ﷺ هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم؛ فإن جميع الرسل جاؤوا بما

(44) وقد استوعب ابن قيم الجوزية عدداً من هذه الأدلة، فقد ذكر تسعة وثلاثين وجهاً من نصوص الكتب المتقدمة في البشارة به وصفته، ونعت أمته. ينظر: هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية ص (107 - 172).

(45) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/ 399).

ومما يشار إليه هنا أن عدداً غير قليل من الحوارات مع النصارى لم تثمر إلى اليوم، ولو بالاعتراف من النصارى بأن محمداً ﷺ نبيٌ من الأنبياء، وله رسالة صحيحة كسائر الأنبياء؛ نظراً إلى أن هذا مستبعد من قائمة ما يتم الحوار حوله.

جاء به.

الوجه الثالث: أن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته، وصدقه، أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل. فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به، إلا ولمحمد ﷺ مثلها، أو ما هو في الدلالة مثلها، وإن لم يكن من جنسها. فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل، والعلم بنقلها قطعي لقرب العهد، وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعصارهم، واستحالة تواطئهم على الكذب[46].

ثالثاً – أن القرآن الكريم جعل المسيح عيسى عليه السلام في أشرف منزلة، وبرأه من الافتراء والاختلاف عليه:

إن النصارى اختلفوا في معبودهم ونبيهم، فتارة يقولن: إن عيسى إله، وتارة يقولون: ابن إله، وتارة يقولون: إنه ثالث ثلاثة، ولم يعلم عن أمة اختلاف في معبودها ونبيها أشد من اختلاف النصارى، قال – تعالى –: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة:17)، وقال – تعالى –: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:30)، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ (المائدة:73). وهي خلافات بين طوائفهم في أصل الاعتقاد. قال ابن القيم رحمه الله: «وأما خبر ما عندكم أنتم، فلا نعلم عن أمة أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا على أحد عشر مذهبا»[47][48]، وجاء محمد ﷺ فأنزل أخاه المنزلة التي أنزله الله إياها، وجلاها من الغموض والامتراء، فآمن به، وصدقه، وشهد له بأنه عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء الطاهرة، وقرر معجزات المسيح وآياته، ونزهه، وصانه أن ينال اليهود منه ما زعمته النصارى أنهم نالوا منه، بل رفعه الله إليه مؤيداً منصوراً، لم يشكه أعداؤه بشوكة، فرفعه إليه، وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض يكسر به الصليب، ويقتل به الخنزير، ويعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه محمد ﷺ، فإذا وضع هذا التصور في كفة،

---

(46) انظر: هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية ص (348).

(47) هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية ص (308).

(48) ثم اختلفوا في شخصه، فقالت النسطورية قولاً، والملكانية قولاً، واليعقوبية، وهكذا الآريوسية، ومن بينها كانت دعوات للتصحيح، وبعث عقيدة التوحيد من جديد، كما جاء بها عيسى عليه السلام وأنه عبدالله ورسوله، ليس بإله، ولا ابن إله، منهم نسطورس الذي اعتقد أن المسيح ليس ابناً حقيقاً للإله، وإنما بنوة مجازية بالنعمة والمحبة، فاجتمع مجمع أفس عام 431م؛ ليبطل قوله ويكفروه، وهكذا قام آريوس الذي كان قسيساً في الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي، أعلن أن الله وحده هو الإله الأوحد، أما المسيح والروح القدس فهما مخلوقان، وقد حكم عليه مجمع نيقيه بالكفر، وقرر قتله ونفيه، ولعن أتباعه، ثم كانت الخلافات في أشدها في القرنين: الخامس والسادس الميلاديين. انظر: خاتم النبيين، للإمام محمد أبو زهرة ص (34).

وتصور النصارى وقولهم في كفة، تبين التفاوت فيها[49].

رابعاً - الإجابة على أسئلتهم والشبهات المثارة حول الإسلام:

وردت على رسول ﷺ أثناء حواراته مع النصارى وغيرهم الشبهات المتنوعة عن الإسلام، وكان منهجه الإجابة عليها، قال ابن قيم الجوزية: «وقد وردت عليه ﷺ الأسئلة من أعدائه للتعنت والمغالبة، ومن أصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلا عن سؤاله إلا ما لا جواب عنه»[50].

إن أمر الشبهات من أكثر الموانع التي تحجب وصول الحق إلى النصارى، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون أجوبة عليها»[51].

وقد عُلم أن في القرآن الكريم والسنة النبوية جواباً لكل شبهة، وتفنيداً لكل باطل، يمكن أن يتضمنه الحوار مع النصارى، قال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: 33)، والمثل هنا الشبهة، والحق في مقابلها الجواب السديد[52].

قال سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله: «ويجب على أهل الإسلام أن يدعوا إلى الحق، وأن يشرحوا الإسلام ومحاسنه، ويبينوا حقيقته لجميع الأمم باللغات التي يفهمونها، حتى يبلغوا عن الله وعن رسوله دينه. كما يجب عليهم أن يكشفوا الشُبَه التي يُشبِّه بها أعداء الإسلام، وأن يردوا الطعون التي يطعن بها أعداء الإسلام في الإسلام، ويبينوا بطلانها بالأدلة النقلية والعقلية؛ لأن الله أوجب عليهم أن ينصروا دينه ورسوله محمداً ﷺ أخبرهم - سبحانه - أنه لا نجاة، ولا فلاح، إلا لمن نصر الحق، واتبعه..»[53].

ولا ريب أن ثمة شبها تم ترويجها عبر الوسائل المتنوعة المكتوبة والمرئية والمسموعة منذ ردح من الزمن، وهي اليوم إحدى المسؤوليات التي تعنى بها مراكز الدراسات النصرانية بأساليب مختلفة، ومن بين الشبه التي تثار ما يلي:

1- شخصية النبي ﷺ وحياته.

2- القرآن الكريم، وحفظه من التحريف.

3- سنة النبي ﷺ القولية، والفعلية،

---

(49) هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية ص (308).

(50) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 680).

(51) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (1/ 76).

(52) قال البيضاوي في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: أي: سؤال عجيب، يريدون به القدح في نبوتك، أي: النبي ﷺ. وقوله: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي: الدامغ له في جوابه.= وهذا يعم كل شبهة». قال ابن عاشور: «إشارة إلى أن ما يأتون به من باطل». انظر: تفسير المنار (1/ 2963)، وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أي: ينقض عليهم ما يأتون به. انظر: تفسير الطبري (8/ 161).

(53) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (3/ 45).

والتقريرية.

4 – عيسى عليه السلام وحقيقته، كما صورها الإسلام.

5- تاريخ الإسلام على مر العصور.

6- الزعم بأن القرآن قد حوى بين دفتيه ما يؤيد المعتقدات والكتب النصرانية المحرفة.

7- المرأة في المجتمع المسلم من جوانب مختلفة.

8- الحرية الشخصية في الإسلام.

9- شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[54].

ولذا فإن من أهم مضامين حوار الدعوة: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام.

خامساً – استعراض وسطية دين الإسلام، ومحاسنه العظام في كل الجوانب:

من الأدلة على ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (البقرة:143)، وإبراز وسطية الإسلام باب واسع للغاية، ونسوق هنا نبذاً من ذلك:

1 – وسطية الإسلام بين الأمم:

تبرز وسطية الإسلام في عدم جنوحه إلى الغلو الضار، وبعده عن التفريط المهلك؛ فإن من الأمم من غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه. ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم، وردَّ دعوتهم. **أما الأمة الإسلامية فقد آمنت بكل الرسل، واعتقدت صحة رسالاتهم جميعاً**[55].

كما أن الإسلام وسط بين الشريعة التي تتصف بأنها ذات طابع مادي، والشريعة التي تتصف بالطابع الروحي، **فالإسلام يأخذ من جانب «المادة»، ويأخذ من جانب «الروح»، ويوازن بينهما**، ومن هنا كانت هذه الوسطية التي وطدت علاقة الدين بالدنيا، والدنيا بالآخرة، والروح بالمادة، قال – تعالى – مؤكداً هذا المعنى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ (القصص:77)[56].

2- في جانب الاعتقاد:

تظهر وسطية الإسلام في هذا المجال باستعراض عدد من الأمور، وهي:

أ- **في الألوهية:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **«فإن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون في صفات الله – تعالى – وسط بين الذين**

(54) هذه بعض الشبه البارزة وثمة غيرها، وقد اتضح للباحث أن النصارى يثيرون قضايا فرعية، على أنها شبهات في أصل الإسلام، منها مثلاً الخلاف بين المذاهب الأربعة، ووجود قراءات عدة لبعض آيات القرآن الكريم وغير ذلك.

(55) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز الرشيد ص (25).

(56) انظر: أساليب الدعوة المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار ص (487 – 533).

شبهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق، وهي صفات نقص، فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح، وبين الذين شبهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق، فقالوا: هو الله. والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال، ونزهوه عن صفات النقص، ونزهوه أن يكون شيء كفواً له في شيء من صفات الكمال»[57].

ب - **في الأنبياء**: فالأمة الإسلامية وسط في الأنبياء، **فالمسلمون آمنوا بهم كلهم، ولم يفرقوا بين أحد منهم**؛ لأن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب في الإسلام، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، قال - تعالى -: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ (البقرة:285)[58].

وتبرز الوسطية في الإسلام في هذا الجانب من خلال نهي نبي الأمة الإسلامية محمد ﷺ عن الغلو فيه، فقال: (لا تطروني.. إنما أنا عبد الله ورسوله)[59]. أي: لا تتطرفوا في مديحي والثناء علي، فتتجاوزوا بي حدود البشرية.

(57) الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (2/ 310).

(58) انظر: الصفدية (2/ 311).

(59) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، رقم الحديث (3445).

3 - في جانب الشريعة:

كما تظهر وسطية الإسلام في المجال الشرعي - وهي من مضامين الحوار - في كل التكاليف الشرعية، **ومنها العبادات**، فهي لم تشرع مشقة للناس أو تعذيباً لهم، بل هي تزكية للنفس، وطهرة لها، وشكر لله، وطاعة له وصلة به؛ ولهذا فإن العبادات الإسلامية كلها من الصلاة والصوم والزكاة والحج، كلها داخلة في وسع المسلم، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وذلك ثابت بالنقل والعقل.

ولما اختار الله ﷻ محمداً ﷺ من العرب؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كانت سيرته مثالاً في التطبيق القرآني الكامل للوسطية، وإذا استعرضنا جانباً من سيرة الرسول ﷺ حول مفهوم الوسطية في جانب الشعائر نجد أن أقواله ﷺ وأفعاله توضح هذه الخاصية بجلاء، ومن ذلك:

أ- **أمره الناس بالاعتدال في العبادة**، فلا إفراط، ولا تفريط،فقد نهى الرسول ﷺ عن التنطع بقوله: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا)[60].

ب- **إيضاحه أن الدين يسر** فقال ﷺ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ

(60) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم الحديث (2670).

مِنْ الدُّلْجَةِ)[61].

ت- **إعلان مبدئه الوسَطِيّ صراحة**: وذلك لما اتفق بعض الصحابة ﷺ على مواصلة الصيام، والاستمرار في الصلاة، واعتزال النساء؛ ظناً منهم أن ذلك يقربهم إلى الله، قال ﷺ: (أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[62]؛ لئلا يحرموا أنفسهم من طيبات الدنيا.

والشواهد على وسطية النبي ﷺ لا تحصى، إلا أن المتأمل في سيرته السديدة ﷺ يتأكد لديه - بصفة عامة - أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وفقهاء الإسلام استنبطوا من خلال أدلة الكتاب والسنة ومنهجه - عليه الصلاة والسلام - عدداً من القواعد الفقهية التي تضمن سعادة الناس واستقرارهم، فقرروا قواعد عظيمة منها: «المشقة تجلب التيسير»، و«لا ضرر ولا ضرار»، و«الضرورات تبيح المحظورات»، و«درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة»، إلى غير ذلك مما يساق في هذا المعنى.

(61) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم الحديث (39).

(62) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث (5063).

4- في جانب السلوك:

كما أن وسطية الإسلام في هذا المجال تبرز مضموناً، من خلال نفس الإنسان المؤمن، فهو مدعو بأن يوازن بين الخوف والرجاء، ونهاه أن يركن إلى اليأس أو القنوط في دنياه بقوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَاْيَـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيَـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:87). وهو مدعو للسعي من خلال النصوص إلى كسب رزقه، وأن يكون قوياً، ففي الحديث (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)[63]. والدين الإسلامي حث الفرد على التوسط والاعتدال في الإنفاق، وحذره من التطرف في الإسراف أو التقتير، ومصداق ذلك في قول الله - تعالى - يصف عباده: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:67)، والقوام هو الوسط، والمنهاج الوسطي في الإنفاق تشير إليه آيات كثيرة، كقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء:26).

5- في الجانب الحضاري:

- **فيما يتصل بنظرة الإسلام العامة للحياة**: جعل الإسلام بين الحياتين الدنيا والآخرة تكاملاً، فالدنيا مزرعة للآخرة، وكان ﷺ يدعو، فيقول: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ

(63) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة، وترك العجز، رقم الحديث (2664).

لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)[64]. إن هذا الدعاء يكشف للمتأمل عن توازن متقن بين الدين والدنيا في حياة النبي ﷺ.

- **فيما يتصل بنظرة الإسلام للآخرين**: تجد الإسلام وسطا في نظرته للآخرين؛ لأن تشريعاته ترمي إلى تحقيق الأمن بكل أنواعه: الفردي، والاجتماعي، والدولي، والسلام بكل دلالاته، ولم يكن يمنع من مد الجسور مع النصارى على أساس من العدل والمعاملة بالمثل، ودعوتهم إلى الله.

كما أنه في علاقاته مع حضارات الأمم الأخرى غير منغلق أو معتزل، وكذلك غير منفتح إلى حد التبعية، بل هو مستلهم كل ما هو مشترك إنساني عام مثمر، مع التمايز في الخصوصيات المتعلقة بالهويات العقدية والثقافية.

الفرع الثاني: مقاصد مضامين حوار الدعوة:

إن الحوار مع النصارى فرصة يقتنصها الدعاة إلى الله - تعالى - باعتبار كون الدعوة إلى الله وظيفة الرسل جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - وورثتهم من العلماء الربانيين الراسخين في العلم على مدى التاريخ، ولقد كان للحوار في مجال الدعوة أعظم الأثر في استجابة أصحاب الأديان إلى الإسلام، وهدايتهم إلى الحق، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله أنه لما بعث الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً، ولم يكره أحداً قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله، ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه - سبحانه - حيث يقول: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ (البقرة:256)[65]، وقال: «ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أن الناس دخلوا في دينه اختيارا وطوعا، فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى، وأنه رسول الله حقاً؛ فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر..»[66].

وهذا يدل على أن الحوار في مجال الدعوة مع النصارى كان أحد أهم أسباب دخولهم في دين الله.

ومن خلال ما سبق نجد أن مضامين حوارات الدعوة تتمثل مقاصدها العامة في جملة من الأمور، من أهمها ما يلي:

1 – أنها تدل الخلق على الصراط المستقيم.

2 – أنها تقيم الحجة على المدعوين.

(64) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم الحديث (2720).

(65) انظر: هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية ص (34).

(66) المرجع السابق.

3 – أنها تفند الشبهات التي تثار.

4 – أنها سبيل إلى تأليف القلوب للإسلام.

5 – أنها تسهم في الحفاظ على سمعة الإسلام.

ومع أهمية مضامين حوار الدعوة ومجالاتها ومقاصدها بالنظر إلى عمقها التاريخي في التواصل مع النصارى، أقول: إن الحوارات اليوم ذات الطابع المنظم بين الجانب الإسلامي والجانب النصراني باتت مساحة مضامين الدعوة فيها ضيقة؛ لأن بعض قيادات كل جانب يرون أن هذا النوع من مضامين الحوار مسلك يثير قضايا مشكلة، ويؤخر قضايا الساعة، والتأثير فيه يعدونه خطأً أحمر..[67].

ومع ذلك نقول – من منطلق التخصص –: إن الداعية المحاور الحكيم لا يعدم أن يجد موالج من المضامين المتفق على الحوار حولها – مهما تضايقت دعوياً – لينفذ منها بدهاء إلى تبليغ الإسلام للمحاورين النصارى، كيف ومضامين السياسة الشرعية ميدانها رحب، ومرّحب به من الجانبين: النصارى والمسلمين؟!.

المطلب الثاني: مجالات مضامين حوار السياسة الشرعية، وأبرز مقاصدها:

الفرع الأول: مجالات مضامين حوار السياسة الشرعية:

من خلال استعراض النصوص الشرعية يتضح أن أبرز مضامين الحوار في مجال السياسة الشرعية، هي ما يلي:

أولاً – مضامين الحوار المتصلة بالكون:

ويمكن بيان جملة منها في الآتي:

أ- بيان عناية الإسلام بعمارة الأرض:

من المعلوم أن الله – تعالى – جعل عمارة الأرض وظيفة من وظائف الإنسان، وشرفه بها عن بقية مخلوقاته، قال الله – تعالى –: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود:61) فعن زيد بن أسلم قال: أي: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها، من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقد فسر بعض العلماء هذه الآية بأنها تفيد حكم الوجوب، فالسين والتاء في « استعمركم » للطلب، والطلب المطلق من الله يكون على سبيل الوجوب، ذكره ابن العربي رحمه الله[68].

وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه

(67) وقد أكد ذلك غير واحد من قيادات الحوار مع النصارى، منهم د. حامد الرفاعي رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، خلال مباحثات معه في أكثر من لقاء أن مضامين حوار الدعوة ليس من ضمن القضايا المطروحة للحوار مع النصارى باتفاق من طرفي الحوار.
وقد وقفت على اشتراط الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في الحوار مع المسلمين عدم المساس بالمسلمات العقدية في الديانة المسيحية، كما أن الكنيسة الكاثولوكية لا ترحّب في الحوار الإسلامي بتوضيح العقيدة المسيحية. انظر: حوار الأديان، د.عبدالحليم آيت أجوض ص (214).

(68) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (9/ 56).

طير أو إنسان، إلا كان له به صدقة)[69].

وعن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن قامت الساعة – وفي يد أحدكم فسيلة – فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)[70].

قال المناوي ﷺ: «والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار،وحفر الآبار.. لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود»[71].

وعلى أي حال، فهذا التوجيه يدل دلالة واضحة على مدى حرص الإسلام على توظيف الإنسان لكل إمكاناته في عمارة الأرض وفق التصور الشرعي قال، الله – تعالى –: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ (هود:61). حيث ربط الله – سبحانه – بين عمارة الأرض، وعبادته، مما يشير إلى أن العمارة تكون وفق التعليمات الإلهية.

ويمكننا القول بأن عمارة الأرض في التوجيه الإسلامي مفهوم شامل يستوعب كل ما يؤدي إلى الحياة الطيبة للإنسان الذي كرمه الله – تعالى – وجعله خليفته في الأرض، وأمره بإصلاحها، ونهاه عن السعي فيها بالفساد والخراب والدمار، وإهلاك الحرث والنسل، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ (الأعراف:56)، وقال – تعالى –: ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (المائدة:64)، وبهذا يتضح أن الحوار مع النصارى، من مضامينه المتصلة بالكون بيان التصور الإسلامي لعمارة الأرض.

ب- بيان عناية الإسلام بأهمية إنقاذ المنكوبين:

إن الكوارث الطبيعية – كالبراكين، والزلازل، والأعاصير، والسيول الجارفة، عندما تحدث – لا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً إزاءها سوى حصر الأضرار، والسعي في تقليل الخسائر، ومساعدة من يمكن مساعدته من المصابين[72].

وإن دين الإسلام يأمر أهله بمد يد العون للمصابين ومساعدتهم بإطعام الجائعين، وكسوة العراة، وسقاية الظمأى، وعلاج المرضى.. لوجه الله فحسب.. بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها، أو الجنس الذي ينتمون إليه، قال – تعالى – في وصف المؤمنين:

(69) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم الحديث (2195)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، رقم الحديث (1552).

(70) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (479)، وصححه الألباني في قسم الصحيح من الأدب المفرد.

(71) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (3/ 30).

(72) وبالنظر إلى ما فعلت أمواج «تسونامي» مثلاً في إندونيسيا التي دمرت سواحل ستة بلدان على الأقل، وانتقلت آلاف الكيلومترات؛ لتضرب كينيا والصومال في أفريقيا؛ يتضح حجم الأضرار لمثل هذه الكوارث، فقد هلك مئات الآلاف، وتشرد الملايين، وفقدوا كل ما يملكون، وأصبحوا عرضة للأوبئة والأمراض والفقر..

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان: 8 – 9).

ولهذا فإن من مضامين الحوار في الإسلام مع الآخرين إبراز الدافع الديني في تعزيز التعاون من أجل إغاثة الشعوب المنكوبة، ومساعدة الدول المتضررة.. وما هب المسلمون لإنقاذ الإنسان وتخفيف مصابه في كثير من الكوارث الطبيعية التي أصابت بعض الدول إلا انطلاقاً من تعاليم الإسلام.

ج- بيان عناية الإسلام بالمحافظة على البيئة:

إن الأرض هبة من الله ﷻ للخلق كلهم، قال – تعالى -: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (الرحمن:10)، والناس شركاء فيها، وهي بمكوناتها المتنوعة ثروة بيئية لا غنى للكائنات الحية عنها، قال – تعالى – في شأن الماء: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء:30).

وقد وضع الدين الإسلامي التشريعات المحكمة لرعاية البيئة وحمايتها من كل ما يلوثها، أو يفسدها.. حيث رسم المنهج السلوكي للمجتمع والفرد في الاستخدام الأمثل المبني على منظومة التوازن، والاعتدال في استخدام ثروات البيئة، ومقاومة أسباب إفسادها وتلوثها؛ لتبقى سكناً آمناً للجميع، وبين أن الاعتداء على مقدرات الطبيعة خرق للسنن الكونية التي أراد الله – تعالى – أن تكون بهذه الصفة.. ولذا فإن إبراز هذه المعاني وتفعيلها، ونشر هذه الثقافة بين الشعوب، وبحث سبل دعم المنظمات الدولية الساعية لذلك من مضامين حوار السياسة الشرعية.

ثانياً – مضامين الحوار المتصلة بالحياة:

إن حوار السياسة الشرعية ينتظم كذلك مضامين ذات صلة بالحياة العامة منها:

أ- تقرير إتاحة سبل التعايش بين البشر:

القرآن الكريم أقر مسألة التعايش السلمي[73] بين الناس بمختلف دياناتهم في قطر واحد؛ ولهذا فقد أثبت التاريخ وجود التعايش الديني بين المسلمين وأهل الكتاب وأتباع الديانات الأخرى، والإبقاء على أمكنة عباداتهم، والنهي عن هدمها أو تخريبها، وعدم إجبارهم على ترك دياناتهم، أو إكراههم على الدخول في الإسلام، قال – تعالى -: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ (البقرة:256)، فقوله: «لا إكراه» نفي بمعني النهي، كما قال ابن قيم رحمه الله في هداية الحيارى[74].

(73) المراد بالتعايش: أن يعيش سكان كل قطر أو وطن واحد بسلام وفق ثوابت جامعة، لهم حقوقهم، وعليهم واجباتهم.. ينظر: تعريف العيش المشترك، لغازي العريض، المؤتمر الأول حول تجديد العيش المشترك، مركز الدراسات والأبحاث ص (139).

(74) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود النصارى، لابن قيم الجوزية ص (34).

إن طابع التسامح معهم هو الظاهرة المتميزة عبر أدوار التاريخ المتلاحقة[75] والتي أشاد بها عدد من المستشرقين، يقول أحد المستشرقين: «إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم..و الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب،و لا دينا سمحاً مثل دينهم»[76].

ويقول توماس أرنولد[77] في هذا الصدد: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»[78].

إن الإسلام يتيح سبل التعايش بين الناس من خلال تنمية روح التفاهم بينهم، وإدراك الارتباط المتبادل بين الناس، وتسخير الله بعضهم لبعض، لاسيما أن العالم اليوم أصبح قرية صغيرة يختلط الناس فيها ساعين لتحقيق مصالحهم، وهو ما يؤكد أهمية الحوار لبحث سبل العيش والتواصل مع الآخرين[79].

ب- تقرير مقاومة الانحرافات البشرية:

إن العالم اليوم يشهد وجود انحرافات بشرية تتمثل في تفسخ كثير من المجتمعات عن قيمها ومبادئها بسلوكيات لا يقرها دين ولا خلق، يروّج لها من خلال نظريات فاسدة، كنظرية فرويد سيجمون القائمة على ثلاثة أركان: الجنس، والطفل، والكبت، ودعوات مباشرة أو غير مباشرة،كعبادة الشيطان، والزواج المثلي

---

(75) انظر: تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام، د. وهبة الزحيلي ص (11).

(76) انظر: حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ص (72).

(77) من كبار المستشرقين البريطانيين.. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي، وقد أشرف أرنولد على تنسيقه وإخراجه، تعلم في كمبردج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، ذاع صيته بكتابيه: «الدعوة إلى الإسلام» الذي ترجم إلى أكثر من لغة و«الخلافة»، كما أنه نشر عدة كتب عن الفن الإسلامي. انظر: قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل ص (50).

(78) الدعوة إلى الإسلام، للسير توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم وآخرون ص (45).

(79) ومن أمثلة تعايش النصارى مع المسلمين ما مهو ماثل للعيان في كل من لبنان ومصر الموغل في القدم إلى درجة أن بعض دول أوربا كألمانيا أرادات الاستفادة من هذه التجربة على واقع أراضيها في مؤتمر بعنوان: «لنتعلم من الشرق الأوسط: حوار الأديان في ألمانيا» الذي استضافته مؤسسة دويتشه فيله عام 2009م. وتعد لبنان من أثرى التجارب التي كان للحوار الإسلامي النصراني أثر في حل النزاع ودوامة العنف والحرب. ينظر: حوار الأديان، د.عبدالحليم آيت أمجوض ص (720).

«زاوج الرجل بالرجل، أو زواج المرأة بالمرأة» والمعاشرة المحرمة، والإجهاض، واستنساخ البشر، ونكاح ذوي المحارم.. إلى غير ذلك، والإسلام يحارب الإفساد في الأرض أياً كان(80).

والحوار مع النصارى في هذا المضمون مطلب ملّح لأجل مد جسور التعاون بين البشر جميعاً شعوباً وحكومات في سبيل تقليل الانحراف الذي يخالف كل الأعراف والعادات والأديان؛ من أجل وقاية المجتمعات منها، وإزالة أسبابها قدر الممكن.

ثالثاً – مضامين الحوار المتصلة بالإنسان:

ويمكن بيان أبرزها في العناصر التالية:

أ – في جانب الاعتقادات:

- تقرير مقاومة التيارات الإلحادية:

إن الإلحاد مذهب ينكر وجود الله، فالملحدون لا يعترفون بإله لهذا الكون، وأصبح لهذا المذهب نفوذ من خلال وسائل الإعلام وشبكة الإنترنت.

وكما لا يخفى على أحد أن الدعاوى الإلحادية تناقض الدين السماوي الذي يدعو إلى الإيمان بالله الواحد، وهذا يؤكد على أهمية الحوار لأجل معرفة سبل مواجهة هذا الفكر الإلحادي المخالف للفطر السوية والعقول السليمة.

- التأكيد على دفاع الإسلام عن مقام الأنبياء، والرسل، عليهم الصلاة والسلام:

إن تعظيم الأنبياء عليهم السلام ركن من أركان الإيمان، ومقامهم رفيع، ومكانتهم يجب أن تحفظ وتصان.. وقد أصبح العالم اليوم يسمع خلاف ذلك من بعض الفئات التي تتمرد على الدين والأخلاق والأعراف بالتطاول على نبي من الأنبياء بالتعدي والسخرية..(81) ولذا من المهم أن يتضمن الحوار هذا البعد تقريراً وتأكيداً، والدعوة للتعاون مع عقلاء العالم لردع من يخترق هذا السياج، وإدانة من يتعرض لهم بالإساءة، أو التهجم، أو كيل التهم لهم بأي صورة كانت، والسعي لدى المنظمات

(80) ولعل مما يسجل للحوار بين المسلمين والنصارى للإنصاف مواجهتهم لرغبات إقرار كل من الإجهاض والشذوذ الجنسي المثلي والاستنساخ البشري وغير ذلك في المؤتمر العالمي للسكان في القاهرة عام 2000م بموقف واحد من علماء الإسلام والنصارى انطلاقاً من حوارات سابقة. ينظر مقال بعنوان: بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي ما الجدوى وما المستقبل؟ د. عز الدين إبراهيم.

(81) وقد نشرت وسائل الإعلام الغربية – بدعوى حرية التعبير الماكرة – ما اهتزت له مشاعر مسلمي سكان الأرض، مع إصرارهم وتواصيهم على المضي.. وأجمعت الرسوم على تصوير الرسول الكريم بدرجات من التشويه ليس منها البتة صورة إيجابية واحدة تجعل لقائل مبرراً من القول: إنها حرية التعبير المزعومة، مما يكشف معها عن قصد الإساءة والاستفزاز والتشويه المتعمد، وآخرها الفيلم المسيء للإسلام، في سلسلة من الأعمال ليست هي نهايتها، لكنها كلها تحل بوادٍ غير ذي زرع، لأن شانئ محمد صلى الله عليه وسلم أبتر.

العالمية لتجريم هذا الفعل ممن كان،حيث إن ذلك منافٍ للإيمان بالله – تعالى – الذي أرسلهم لهداية البشر.. قال – تعالى –: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة:136).

• بيان الحاجة إلى تجريد العمل الإغاثي عن ممارسة أي لون من الإكراه على الإنسان، سواء الإكراه المباشر أم غير المباشر؛ لتغيير معتقده الديني، كما يراد للمسلمين في عدد من الدول الفقيرة ممن يتلقون مساعدات أجنبية تحت ضغط الاحتياج للغذاء والدواء والكساء[82].

ب- في جانب الأخلاقيات:

• الإفادة عن مبدأ التعارف بين الناس في الإسلام:

إن من أبرز مضامين الحوار مع النصارى إلقاء الضوء على مبدأ التعارف بين الشعوب والقبائل من المنظور الإسلامي وسبل تحقيقه، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ (الحجرات:13)، فهذه الآية الكريمة تقرر وجود الاختلاف والتعدد في الأقوام والشعوب والقبائل، وهذا الأمر سنة من سنن الله، وآية من آياته، قال – تعالى –: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:22)، فيعترف البعض بحقوق الآخرين، ويسلم بوجودهم، فلا يسخر قوم من قوم، ولا يحتقر بعضهم بعضا، حتى يكون الجميع على صعيد واحد، ينظرون إلى الحياة على أنها ميدان للتنافس الشريف في أمور الدنيا، ومزرعة للآخرة تحتاج إلى غرس طيب، فلا تمييز عنصريًّا بين الناس، ولا طبقية، ولا قومية.

• الإبانة عن تكريم الإسلام لجنس الإنسان:

أكد الإسلام كرامة الإنسان، قال – تعالى –: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء:70)، قال أبو السعود مفسراً قوله: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، أي: قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم، أي: كرمناهم بالصورة، والقامة المعتدلة، والتمتع بها في الأرض، والتمكن من الصناعات، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة[83]. وباعتبار أن الإنسان مخلوق

(82) يوجد تناقض واضح في موقف مجلس الكنائس العالمي من قضية التنصير بين صفوف المسلمين باستخدام المساعدات الطبية والتعليمية، حيث يرى المجلس أحياناً أن التنصير من خلال هذه الأساليب عمل غير صحيح، وأنه استغلال سيئ للأهداف الحقيقية لهذه الوسائل، وتارة يرى المجلس أن المساعدات تلك وسيلة جيدة ومهمة لأجل استغلال تنصير المسلمين. ينظر: حوار الأديان، د.عبدالحليم أجوض ص (215).

(83) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (5/ 186).

كرمه الله على سائر المخلوقات، فقد جعل له حقوقاً في جوانب مختلفة تضمنها التشريع الإسلامي. والدعوة لتحقيقها عبر الحوار العالمي أصبحت في هذا العصر ملحة.

- **تقرير محاربة الإسلام الظلم، ورفعه عن المظلومين في الأرض:**

إن الإسلام لا يقر الاعتداء على الآخرين، سواء أن يعتدي إنسان على حرية آخر، أو شعب يعتدي على شعب آخر، أو دولة على دولة، أو أمة تعتدي على أمة، مهما يكن الدافع إلى ذلك. فإذا حدث اعتداء فللمُعتدى عليه أن يقاوم هذا الاعتداء، وأن يستعيد حريته، ويستردها بما يستطيع من وسائل وإمكانات، وعدة وعتاد، قال - جل وعلا -: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (الشورى:41)، وبناء عليه، فهذا من الموضوعات التي تشغل الإنسانية، وتؤرق ضميرها. والحوار في مسعاه هذا يقرر محاربة الظلم والعدوان، وإثبات حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومناهضة روح الهيمنة وفرض النظام ذي المنزع الفكري والثقافي الواحد على المجتمعات الدولية قسراً؛ لأنه من العدوان[84].

- **استعراض القيم المشتركة والسعي لتحصيلها:**

إن المبادئ المشتركة بين الإنسانية متعددة، ولعل من أبرزها مبدأ السلام الذي عظمه الدين الإسلامي غاية التعظيم، حيث جعل الله مبدأ السلام في قمة الإجلال حينما اصطفاه الله اسماً من أسمائه الحسنى، قال - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الحشر:23).

كما أن من أوصاف الجنة التي هي غاية كل حي صفة «السلام» قال - تعالى -: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس:25).

بل تتجلى ألفاظ السلام في أشهر عبادة في الإسلام «الصلاة» التي يقيمها كل مسلم خمس مرات في اليوم والليلة.. ففي صلب الصلاة يلتزم المسلم عند التشهد أن يقول: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك - أيها النبي - ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». وتنتهي الصلاة بلفظ «السلام عليكم ورحمة الله» مرتين مرة يقولها ملتفتاً عن يمينه، ومرة وعن يساره.

وبما أن معاني السلام تلوح للمسلم أمامه، وتشعّ بصفة مستمرة في عبادته، فإن تحقيق مفاهيم السلام وتطبيقها على أرض الله في مناحي الحياة من المهام العظيمة للمسلمين، بل إن البر والعدل من مفردات السلام الذي يعد أصل علاقة المسلم بغير المسلم، كما قال

(84) انظر: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية، لعبدالله علي العليان ص (86).

– تعالى –: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة: 8 – 9).

ومعلوم أن مبدأ السلام من المبادئ المشتركة بين الناس بمختلف أديانهم، والحوار في هذا المضمون هو أساس عملية تنسيق الجهود التي يبنى عليها مبدأ السلام بمعالجة المشكلات القائمة، وإيجاد الحلول التي تكفل حقوق الأطراف المتنازعة عبر العمل السلمي، ونزع فتيل الحرب.

ويستشف المتأمل في غالب حوارات النبي ﷺ مع الرؤساء والملوك بيانه الواضح أن ضمان الأمن والسلام يتحقق لهم بالإيمان بالله وحده، وبرسالة رسوله ﷺ باعتبار الأمن الفردي في منهج الإسلام اللبنة الأساس والمتينة في بناء الأمن الاجتماعي والإقليمي والعالمي.. والأمن الوجداني هو أساس بناء الأمن الفردي لكل البشر، والإسلام جعل مسألة الإيمان بالله الواحد الأحد، وإخلاص العبودية لله هي أساس تحرير الضمير الإنسان من أي عبودية أخرى لغير الله، وأساس تحرير وجدان الإنسان من مغريات الدنيا ومخاوفها، وأساس الطمأنينة والاستقرار النفسي للفرد[85].

(85) انظر الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك=

• التواصي لإيجاد حلول لمشكلات عالمية:

لقد تعقّدت كثير من أمور الحياة، واستجدت أمور تخالف الأديان، ويأباها عقلاء العالم حتى طال وبالها الأناسي جميعاً، منها: العدوان على الشعوب بكل أشكاله وصوره، وبخاصة الحروب التي يُشعَل فتيلُها، إما للجري وراء المنافع المادية والأطماع الدنيوية..، وإما حُبّاً في السيادة والسيطرة. قال الله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة:87). وإذا كانت صناعة الحروب على هذا الأساس مجرّمة في الدين الإسلامي، فإنه لابد من التواصي بوقفها من خلال قنوات الحوار العالمي[86].

• تحرير المصطلحات الحادثة، وإزالة الالتباس، وبيان الموقف الصحيح منها:

هناك عدد من المصطلحات التي يغلب استخدامها في وسائل الإعلام، وبعضها يكتنفها غموض يؤثر في أسلوب التعامل مع الحدث، وفهم الموقف، ينبغي أن يكون استجلاؤها من مقاصد الحوار؛

=والقادة، لأحمد محمد العقيلي ص (55)، ونحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، د. حامد بن أحمد الرفاعي ص (476).

(86) وتعد لبنان من أثرى التجارب التي كان للحوار الإسلامي النصراني أثر في حل النزاع الطائفي ودوامة العنف والحرب. ينظر: حوار الأديان، د.عبدالحليم آيت أمجوض ص (720).

لوضع الأمور في نصابها الصحيح. ومن تلك المصطلحات: صراع الحضارات، والعلمانية، والإصلاح، والجهاد، وحرية الأديان، وتعدد الأديان، والتسامح، والإرهاب.. إن مثل هذه المصطلحات تندرج في السياق الثقافي المشوه عن الإسلام؛ لذا تعد تلك من المضامين المتجددة في السياسة الشرعية التي من المهم إشباعها بالحوار.

الفرع الثاني: مقاصد مضامين حوار السياسة الشرعية:

اتضح مما سبق عدد من مضامين الحوار التي تجري في مجال السياسة الشرعية مع النصارى، وأن لتلك المضامين مقاصد برزت إبان نشأة الدولة الإسلامية في المدينة، حيث عقد النبي ﷺ عدة حوارات، نتج عنها عهود مع يهود المدينة، وصلح مع قريش المعروف بصلح الحديبية، وإن كانوا ليسوا نصارى، لكن المقصد الشريف يشملهم جميعاً. وتبرز معالم هذا الاتجاه العام من الحوار من قوله ﷺ بشأن «حلف الفضول» الذي يعد ميثاقاً تنادت به الإنسانية لنصرة الإنسان المظلوم: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً - والحِلْف: العهد - ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[87]، وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (.. أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)[88].

إن إشادة النبي ﷺ بهذا الحلف تتضمن موافقته على مضمون الحوارات مع النصارى وغيرهم حينما تتجه لتحقيق أمثال هذه الغايات النبيلة في حال كانت تتفق مع مقاصد الإسلام الكلية، إذ الحوار المتضمن التناصر والتعاون على نصرة الحق، وصلة الرحم، والأخذ على يد الظالم؛ يؤيده الإسلام، ويعززه حتى مع النصارى، ويؤكد عليه؛ لأنه موافق للشرع الإسلامي..[89].

وإذا تأملنا مضمون حوار الصحابة مع النجاشي نجده حواراً له مقصد عظيم، وهو الحفاظ على سمعة البعثة في الحبشة من كل ما يخدشها؛ لتحقيق أمنها، وسلامتها، والإبقاء عليها هناك، وهو من هذا الباب.

وقد زخر الفقه الإسلامي المؤَسس على الكتاب والسنة، بتراث ضخم لتحقيق هذا المقصد من خلال مجال العلاقات الدولية بأهل الكتاب، وذلك لتعميق أسباب وسبل التعايش بسلام[90].

---

(87) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (6/ 367). وانظر تعليق الشيخ الألباني عليه في فقه السيرة، للشيخ الغزالي، فقه السيرة ص (75).

(88) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: النبي ﷺ، رقم الحديث (4602).

(89) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (5/ 174).

(90) انظر: الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، د. أحمد=

ومما سبق يمكن أن نستجلي أبرز مقاصد مضامين حوار السياسة الشرعية في العصر الحاضر بأمور منها:

1 – أنها تبين محاسن الدين الإسلامي من خلال المعالجة المتزنة والواقعية لمضامين الحوار من منظور إسلامي.

2 – أنها تقرر التعاون مع النصارى في الإطار العالمي لتحقيق قيم اتفقت عليها الأديان، كالعدل، والرحمة، والكرامة، والأمن بكل أنواعه.

3 – أنها تعرض التعايش بين البشر بحكم الجوار والمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة..في الحدود المقررة شرعاً.

4 – أنها تسهم في إبانة موقف الإسلام تجاه مضامين الحوارات العالمية، وتستعرض مزاياه.

5 – أنها تحقق كسب مواقف وأحداث لصالح الإسلام المسلمين.

6 – أنها تحقق تخذيل من أراد النيل من الإسلام.

7 – أنها تحيد أعداء الإسلام.

8 – أنها تمهد سبيلاً للنفوذ إلى عقولهم من أجل دعوتهم إلى الله – تعالى – بالأسلوب المناسب للموقف والحال.

***

=بن عبد الرحمن القاضي ص (13).

المبحث الثالث

ضوابط مضامين الحوار مع النصارى

مضامين الحوار مع النصارى التي تتصل بمجال الدعوة أو بمجال السياسة الشرعية، لابد أن تُضبط بما يحدد إطارها العام والخاص؛ كي لا ينحرف مسار الحوار عن مقاصده الكلية التي وضعها الشارع الحكيم.

تعريف الضوابط:

الضوابط: جمع ضابط، وهو مأخوذ من ضبط الشيء، والضَّبْطُ في اللغة: لزوم الشيء، وحَبْسُه. وضَبْطُ الشيء: حِفْظه بالحزم[91]. ومن خلال المدلول اللغوي لمادة ضَبَطَ يتبين أن هذه المادة تفيد الحصر والحبس واللزوم. وعلى هذا فإن الضوابط لها معنى واسع وشامل لكل ما يحصر جزئيات أمر معين ويحبسها[92]، والذي يعنينا في هذا الصدد هو الأمور التي تُلزم المضامين وتحبسها؛ لأن تكون في حدود المشروع قدر الإمكان، وبناء عليه سنتناول المبحث من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الضوابط العامة لمضامين الحوار مع النصارى:

وأعني بالضوابط العامة: الإطار العام الذي يحكم المضمون من حيث الأساس الذي يبنى عليه من

(91) انظر: لسان العرب، لابن منظور (7/ 240)، مادة (ضبط).

(92) انظر: القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، د. محمد عثمان شبير ص (22).

جهة، ومآله من جهة ثانية؛ ولذا يمكن تصنيف هذه الضوابط إلى صنفين:

الفرع الأول: الضوابط العامة المتعلقة بأساس بناء المضمون:

أولاً – أن يكون مضمون الحوار دون إكراه طرف لآخر؛ إذ المسلم يستند في هذا الصدد على أن الدعوة – ومنها الحوار – من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، دون إكراه. والله – جل وعلا – يقرر هذا الأمر في كتابه العزيز، فيقول: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة:256). قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وهذا نفي بمعنى النهي عن الإكراه، أي: لا تكرهوا أحداً على الدين»[93]. كما أن على الجانب النصراني أن لا يكره المحاورَ المسلمَ من منطلق رجحان كفة القوة المادية والسياسية[94] على مضمون الحوار، أو على قبول رأي معين؛ فهذا من عدم الإنصاف، قال شيخ الإسلام: «والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف»[95]. والحوار من باب أولى، ويدخل في هذا تسييس الحوار، بمعنى إخضاعه للإملاء السياسي، وتجريده من أجواء الموضوعية والحرية الفكرية.

(93) هداية الحيارى (34).

(94) انظر: حوار الحضارات، سلسلة محاضرات بجامعة القاهرة ص (8 و74).

(95) فتاوى ابن تيمية (1/ 109).

ثانياً – البعد عن المداهنة في أي مضمون من مضامين الحوار من خلال الثناء على مضامين الآخرين وتسويغها، وإيجاد المخرج الشرعي لها في الإسلام، والركون لهم، وغير ذلك مما لا يخفى تحريمه، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (هود:113)، قال ابن زيد: «الركون الإدهان، وقرأ: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ (القلم:9)، قال: تركن إليهم، ولا تنكر عليهم الذي قالوا، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله»[96]. ذكر الإمام الطبري مبيناً ما في الآية من تحذير من اللين والمطاوعة في الدين بأن المشركين ودوا – يا محمد – لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك[97].

(96) انظر: جامع البيان (12/ 127).

(97) انظر: المرجع السابق (29/ 21) ولا يخفى أن المداراة أو الرفق من آداب الإسلام في معاملة المخالفين، ولا يخفى على المحقق الفرق بينه وبين الإدهان المحرم، قال القرطبي في التفريق بينهما: «والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استُحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا». فتح الباري، للحافظ ابن حجر (10/ 454).

ومن صور المداهنة التي يقع فيها المتحاورون في وحدة الأديان، تسميتهم للمعابد والكنائس بيوت الله، وهي إلى كفران الله وعصيانه أقرب. قال شيخ الإسلام حين سئل عن تسمية البِيَع بيوت الله: «ليست بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي [أي البيع] بيوت يكفر فيها بالله.. فالبيوت بمنزلة أهلها،=

وعندما قالوا له: اعبد آلهتنا يوماً، ونعبد إلهك يوماً، أنزل الله سورة «الكافرون» وحسم هذه المساومة التي طالبوا بها. وساق الإمام الطبري في تفسيره لما جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ أسمعهم النبي ﷺ معتقده في المسيح عليه السلام، ولم يبال بغضبهم من ذلك، فقالوا: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد. قال: أجل. إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً، فأرنا مثله. فنزلت الآية: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:59)[98].

ثالثاً – مراعاة تقديم المضمون المناسب بحسب الأولوية من جهة الزمان والمكان والحال[99].

رابعاً – أن يتصف المضمون بالكليات: والمقصود بذلك المضامين التي تتسم بأمرين، هما:

أ – العموم والاطراد: ومعناه أن لا يختص المعنى الموضوع في باب دون باب، أو محل دون محل، أو قاعدة دون قاعدة، فتجريم اغتصاب الأرض لا يسري على ناس دون ناس، كما أن محاربة الإرهاب لا يكون وفق نظرة أحادية تخضع لسياسات معينة، حيث إن كل جريمة ترتكبها مجموعة دينية أو عرقية أو ثورية في أنحاء العالم، لا تنسب في لغة الإعلام الغربي إلى الدين الذي تنتمي إليه تلك المجموعة، أو حتى الفرد، إلا حين تصدر عن مسلمين، فيقال رأساً: «الإرهاب الإسلامي»، و«الإرهابيون المسلمون»، ولا يقال لجرائم الصرب الفظيعة في البوسنة، وكوسوفا: «إرهاب أرثذوكسي»، ولا لعمليات الألوية الحمراء في إيطاليا: «إرهاب كاثوليكي»، ولا لتفجيرات الجيش السري الإيرلندي «إرهاب بروتستانتي»، ولا لأعمال القمع التي يمارسها الجيش الإسرائيلي يومياً: «إرهاب يهودي»، بل لا يقال لمجازر الهنود القوميين، وهدمهم لمساجد المسلمين: «إرهاب هندوسي»، ولا لعمليات الجيش الأحمر الياباني: «إرهاب بوذي»[100].

ب – الثبوت: ومعناه أن يكون المضمون ثابتاً في الإسلام، أي: غير منسوخ، ولا مخصص، ولا مقيد، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال[101]. والثبوت هو الأصل في التشريع الإسلامي، وعليه فإن أكثر مسائل الشريعة من هذا القبيل، ومثال ذلك: أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، والموبقات

=وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار». مجموع الفتاوى (22/ 162).

(98) انظر تفسير الإمام الطبري (3/ 296).

(99) انظر: تأصيل فقه الأولويات، د. محمد همام عبدالرحيم (57).

(100) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي (4/ 1525).

(101) تأصيل فقه الأولويات، د. محمد همام عبد الرحيم (57).

السبع التي أمرنا باجتنابها(102)، وغير ذلك كثير.

وبهذين الركنين يقال: إن المضمون يستم بالكلية، وهو من العدل والإنصاف المنشود في الحوار.

الفرع الثاني: الضوابط العامة المتعلقة بمآل المضمون:

أولاً - أن تقتضي مضامين الحوار المحافظة على الضروريات الخمس بصفة عامة، يقول الإمام الشاطبي: «فقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.. فإنها مأخوذة من استقراء مقتضيات الأدلة بإطلاق، لا من آحادها على الخصوص»(103).

ثانياً - أن مضمون الحوار مع النصارى، مؤداه نصرة الحق، وتوضيحه للخلق، ورفع راية البلاغ المبين، استجابة للتوجيهات الربانية، قال - تعالى - منبهاً، ومحذراً المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من عدم التبيان: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران:187).

ثالثاً - مقابلة المضامين التي فيها أذى بمضامين تتسم بالبعد عن الاسترسال إلى درجة الخصام ونسله المذموم، وهذا يكون بالصبر مع التقوى، قال - تعالى -: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (آل عمران:186)، وقد يكون هذا السماح ضمن مضامين الحوار. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأمر ﷺ بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى..»(104)، وفي السياق نفسه قال ابن باديس رحمه الله عند تفسيره قوله ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (الإسراء:53): «أقوى الأحوال مظنةً لكلمة السوء، هي: حالة المناظرة والمجادلة، وأقرب ما تكون إلى ذلك إذا كان الجدال في أمر الدين والعقيدة، فما أكثر ما يضلل بعضهم بعضاً، أو يفسقه، أو يكفره، فيكون ذلك سبباً لزيادة شقة الخلاف اتساعاً، وتمسك كل برأيه ونفوره من قول خصمه.. فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته: إنك من أهل النار، ولكن تُذكر الأدلة على بطلان الكفر، وسوء عاقبته، ولا يقال للمبتدع: يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها، ولا يقال لمرتكب الكبيرة: يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة، وضررها، وعظم إثمها، وتُقبح القبائح والرذائل في نفسها، وتجتنب أشخاص مرتكبيها»(105).

(102) وهي: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا،وأكل مال اليتيم، التول يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

(103) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي (3/ 7).

(104) الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/ 38).

(105) كتاب آثار ابن باديس، جمع: د. عمار الطالبي (1/ 286).

رابعاً – تحري المضامين التي يمكن فيها إعمال مبدأ التسامح معهم؛ لتأليف قلوبهم، وهو منهج نبوي إذا لم يمس أصل الدين، لإيجاد مساحة من الاتفاق في الأمور العامة، وتفصيل هذه المسألة كما يلي:

أ- المضمون الذي ينطوي على حكم شرعي قطعي الدلالة والثبوت، كأركان الإسلام الخمسة، وحرمة الربا، والزنا، والخمر، ولحم الخنزير، فليس من حق أحد أن يحوّر فيه، أو يزيد، أو ينقص، بل الواجب أن يقدمه كما قدمه الله ورسوله، قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: 67). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك؛ فإن كتمت شيئا منه فما بلّغت رسالته»[106]. قال الإمام الطبري: «وهذا أمر من الله – تعالى – ذكره لنبيه محمد ﷺ بإبلاغ اليهود والنصارى من أهل الكتابين، وسائر المشركين، وغيرهم ما أنزل عليه فيهم من معايبهم، والإزراء عليهم، والتقصير بهم، وما أمرهم به، ونهاهم عنه، وأن لا يتقي أحدا في ذات الله؛ فإن الله – تعالى – كافيه كل أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهه»[107]. وقال الإمام القرطبي: «وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته»[108] والحوار مع النصارى أحد قنوات بث العلم.

(106) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (4/ 2239).

(107) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري (6/ 307).

(108) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (4/ 2239).

ب- المضمون الذي ينطوي على حكم شرعي قطعي، أدلته ليست قطعية الدلالة أو قطعية الثبوت، كالمسائل الاجتهادية المختلف فيها بين العلماء المعتبرين، فهذه يَعرِضُها الداعية عرضاً منطقياً، حسبما يلائم حال الموقف الذي يجري فيه الحوار، وحال المتحاورين الذين يفترض أنهم ممن يرجى تأليفهم على الإسلام، واستمالة مشاعرهم نحوه؛ إذ ليس من الحكمة أن يتم اختيار أشد الأقوال ليقدم على أنه هو أحد تشريعات الإسلام المحكمة، ومن المعلوم أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال،كما قرّره ابن قيم الجوزية رحمه الله في فصل بقوله: «فصل في تغّير الفتوى واختلافها بحسب تغّير الأزمنة، والأمكنة، والأحوال، والنيات، والعوائد»[109].

وبهذا يعلم خطأ من يفهم معنى التسامح على أنه مطلق، فالدين الإسلامي هو الدين المختار للبقاء إلى يوم القيامة، وغيره محرّف، فالتسامح – إذن – لا يكون في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي، وإنما يكون في المعاملات الشخصية، والأمور التي هي محل اجتهادات.

المطلب الثاني: الضوابط الخاصة لمضامين الحوار مع النصارى:

وأعني بالضوابط الخاصة ما يتصل بالمضمون نفسه، فالناظر إلى مضامين الحوار مع النصارى التي سبق

(109) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية (3/ 5).

- بيانها سواء فيما يتصل بمجالي الدعوة أو السياسة الشرعية - يجد أن المضامين هي حقائق إما عقدية وشرعية، وإما سلوكية وأخلاقية؛ لذا سنتناول المضامين الخاصة ضمن الفرعين التاليين:

الفرع الأول: ما يتصل بالحقائق العقدية والشرعية:

من أهم الضوابط في هذا الجانب ما يلي:

أولاً - أن لا يمس الحوار أصول الإسلام العقدية وحقائقه الشرعية، كالدعوة إلى التقارب بين الأديان؛ لصهرها في قالب واحد[110]، فهذا نقض لعرى الإسلام، قال - سبحانه -: ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ﴾ (المائدة:49)، وقال: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ (النساء:89)؛ إذ معناه أن ثمة نقصاً أو قصوراً في الإسلام يتم استكماله من غيره من الأديان، وهو - كما لا يخفى - مصادمة لنصوص الكتاب والسنة الدالة على كمال الدين الإسلامي.

ثانياً - أن لا تتضمن مضامين الحوار التشكيك في كفر النصارى، أو ما يشير إلى إقرار دينهم، وارتضائه لهم ديناً بديلاً عن الإسلام، أو مساوياً له، باعتباره ديناً سماوياً في الأصل، أو تعظيم ما لا يرضى الله تعظيمه؛ لما في ذلك من غشهم وخداعهم، قال - تعالى -: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:85). والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثالثاً - أن لا يحتوي مضمون الحوار على ما فيه تعظيم ما لا يرضي الله تعظيمه، فحين خاطب النبي ﷺ ملوك الأرض صانعهم ورفق بهم، لكنه لم يضف عليهم عظيم الألقاب، بل توقى في خطابهم، من غير أن يبعد عن ملاطفتهم واستمالتهم، فقد كتب إلى هرقل إمبراطور الروم قائلاً: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم..)[111]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة؛ لأنّه معزول بحكم الإسلام، لكنّه لم يخله من إكرام لمصلحة التّألّف..»[112]، وقال النووي رحمه الله: «التوقي في المكاتبة،

---

(110) تحت شعارات منها: «وحدة الأديان»، «توحيد الأديان»، «توحيد الأديان الثلاثة»، «الإبراهيمية»، «الملة الإبراهيمية»، «الوحدة الإبراهيمية»، «وحدة الدين الإلهي»، «المؤمنون»، «المؤمنون متحدون»، «الناس متحدون»، «الديانة العالمية»، «التعايش بين الأديان»، «المِلّيُون»، «العالمية وتوحيد الأديان»، وقد عقدت عدة مؤتمرات للحوار لهذا الهدف. ولاستعراض تاريخ هذه النظرية ينظر لكتاب: الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان، للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله ص (23).

(111) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ص (595)، رقم الحديث (294)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، مختصر المنذري، رقم (1121).

(112) فتح الباري شرح صحيح البخاري (1/ 38).

واستعمال الورع فيها، فلا يفْرِط ولا يُفَرِّط، ولهذا قال النبي ﷺ: (إلى هرقل عظيم الروم)، فلم يقل: ملك الروم؛ لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام.. ولم يقل: إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: عظيم الروم، أي: الذي يعظمونه، ويقدمونه»[113]، وقد أمر الله – تعالى – بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام أياً كان، فقال – تعالى –: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (النحل:125)، وقال – تعالى – لموسى وهارون عليهما السلام مبيناً لهما كيفية مخاطبة فروعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه:44).

رابعاً – النأي بمضمون الحوار عن أن يتخلله سب رموزهم الدينية كالكنائس والصلبان، وقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد النهي عن مطلق السب، وذلك في قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ (الأنعام:108)، وقد أفاد القرطبي من الآية النهي عن سب ولمز سائر ما يقدسه الآخرون، لا من باب التعظيم لها، بل سياسة وتألفاً، يقول: «حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في مَنَعة، وخيف أن يسب الإسلام أو النبي عليه السلام أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسُبَّ صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية.. وفيها دليل على أن المحقَّ قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين»[114]. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «والمعنى: لا تسب – يا محمد – آلهة هؤلاء الكفار التي يدعونها من دون الله، فيتسبب عن ذلك سبهم لله عدواناً وتجاوزاً عن الحق، وجهلاً منهم. وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل، إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرم، ومخالفة حق، ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان واجباً عليه، **وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله، المتصدين لبيانها للناس**»[115]. ولذا لا يجوز أن يتخلل مضمون الحوار ما يزدادون به بعدًا عن الحق ونفورًا منه؛ فكل ما من شأنه أن يُبغِّض الكفار في دين الإسلام، وينفرهم منه، ويبعدهم عن قبوله، يجب على المسلم أن يتجنبه، ويتحرز من الوقوع فيه – قولاً كان أو فعلاً –. فهذا المسلك – كما أنه يتضاد مع الدعوة – ليس من أخلاق الإسلام، وليس وسيلة من وسائل الإقناع والبلاغ، ولا من الحكمة في شيء.

الفرع الثاني: ما يتصل بالحقائق السلوكية والأخلاقية:

وأجمل هذه الضوابط في الآتي:

أولاً – أن تكون الحقائق السلوكية والأخلاقية

(113) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي (12/ 108).

(114) الجامع لأحكام القرآن (4/ 2497).

(115) فتح القدير، للإمام الشوكاني (2/ 461).

التي يستند لها مضمون الحوار، لها ثمرة حقيقية من جلب مصلحة عامة: ضرورية، أو حاجية، أو تحسينية[116]. والمصالح التي يمكن أن تتحقق من مضامين الحوار مع النصارى ثلاثة أنواع، وهي:

مصالح ضرورية: وهي التي تكون الأمة بمجموعها أو آحادها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، فإذا ما انخرمت تؤول حال الأمة إلى فساد وتلاشٍ.

مصالح حاجية: ما تحتاج الأمة إليه لاقتناء مصالحها، وانتظام أمورها على وجه حسن بحيث لا يترتب على مراعاته فساد النظام، ولكنه يكون على حالة غير منتظمة، فلذلك لم يبلغ مبلغ الضروري.

المصالح التحسينية: ما كان بها كمال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم؛ حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها، أو في التقرب منها[117].

ولذا قال عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى اختصاره لقواعد الأحكام: «لا يجوز الجدال والمناظرة إلا لإظهار الحق ونصرته؛ ليعرف، ويعمل به. فمن جادل لذلك فقد أطاع، ومن جادل لغرض آخر، فقد عصى وخاب»[118].

ثانياً – أن لا تكون الحقائق السلوكية هي دائرة مضامين الحوار الوحيدة فقط؛ لما في ذلك من استبعاد محل النزاع الذي يتمثل في الجانب العقدي باعتباره الأصل، فهذا غير مقبول؛ إذ الإسلام نظام متكامل بمكوناته العقدية والشرعية والسلوكية، وقصر الحوار على الجانب السلوكي – فقط – يدل على عدم جدية الحوار، ويلحق أذى بمضمون الحوار الذي يفترض فيه الشمول[119].

(116) قال د. عز الدين إبراهيم – وهو ممن ساهم في الحوار مع النصارى من قديم – في مقالة بعنوان: بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي، ما الجدوى، وما المستقبل؟ بعد أن ذكر عددا من إيجابيات الحوار وسلبياته أن السلبية الثالثة، وهي تتعلق بموضوعات الحوار: «فقد لوحظ أن الحوارات الأولى قد اتجهت نحو العموميات» في إشارة منه إلى أهمية هذا الضابط.

(117) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور (3/ 332 – 343).

(118) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (3/ 193).

(119) وهناك وعي أن الجانب النصراني يفرض على الجانب المسلم عدم إدراج مضامين الدعوة باعتبار أن مسألة التوحيد وطبيعة المسيح وقضية التثليث لدى كل جانب موقف منها يعد من أسس معتقده، ومن شأن الحوار حولها أن يسهم في خلافات ومناقشات شائكة تعرقل سير الحوار. غير أن من الأولى في هذا الزمن الذي يتسم بالانفتاح وحرية الرأي فتح أبواب الحوار في كل المظامين وفي تجرد تام عن الذاتية؛ لأن الانغلاق لا ينسجم اليوم مع ثورة الانفتاح. كما أن في المنع حرمان الإنسان المحاور من حقه الطبيعي في معرفة الحقائق الإيمانية والعقدية واعتقادها طوعا واختياراً وعرقلة الحوار يمكن حلها من خلال حسن إدارة الحوار. ينظر: حوار الأديان، د.عبدالحليم آيت أمجوض ص (370).

ثالثاً – عدم هجر المصطلحات الشرعية، قدر المستطاع، وأن لا تفرغ من محتواها إذا ظهرت المصلحة، فالنبي ﷺ لما كتب رسائله إلى الملوك صدّرها بالبسملة، كما في رسالة هرقل (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم...)(120). قال النووي مستنبطاً فوائد من الحديث: «ومنها: استحباب تصدير الكتاب بـ: بسم اللهّ الرّحمن الرّحيم، وإن كان المبعوث إليه كافرًا»(121).

واستخدام المصطلحات الشرعية لا يمنع مخاطبتهم بلغاتهم وطريقتهم إذا دعت الحاجة إليه، قال ابن تيمية رحمه الله: «أما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم؛ فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه»(122).

رابعاً – العناية بقيم العدل في الإسلام معهم من خلال اجتناب ما فيه تعدٍّ عليهم بقول، أو بيان، أو نسبة، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ (المائدة:8). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم.. فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا..»(123).

خامساً – أن تكون غاية الحقائق السلوكية والأخلاقية في مضمون الحوار تقريبهم من الإسلام، ومنفذاً لدعوتهم إلى الله، ولو بصورة غير مباشرة، قال سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله: «ولو أن إنسانا رأى، أو داعية من الدعاة، رأى أن يدعوه إلى حضور مجالس العلماء لعله ينشرح صدره، أو يدعوه إلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، ويقول له: إن الإسلام جاء بهذا، لعلّه يميل إلى الإسلام؛ فلا بأس عليه»(124).

سادساً – الإفادة من مضامين النصارى المتصلة بالحقائق والتجارب السلوكية التي تخدم الإنسانية، ولا تتعارض مع معطيات الشريعة، فالحكمة ضالة المؤمن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجوز لنا – إذا قال يهودي أو نصراني.. قولاً فيه حق – أن نتركه، أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما كان فيه الباطل دون ما فيه الحق»(125).

(120) أخرجه الإمام البخاري رقم (6261)، والإمام مسلم رقم (1773).

(121) شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 108).

(122) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/ 452).

(123) كتاب الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/ 38).

(124) التدرج في دعوة النبي ﷺ ، د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ص (147) حيث قيد الباحث قوله سماحته رحمه الله أثناء مقابلة خاصة معه.

(125) منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (2/ 242).

سابعاً – الاقتداء بالأدب القرآني في التجاوز في المضامين عن العيوب والمثالب، قال ابن باديس رحمه الله: «على الداعي إلى الله، والمناظر في العلم، أن يقصد إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإقناع الخصم بالحق، وجلبه إليه، فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب – ولو كانت هناك عيوب ومثالب – اقتداءً بهذا الأدب القرآني والنبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير»، ثم قال: «وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد، وبعد عن الأدب، وتعد على الخصم، وإبعاد له، وتنفير عن الاستماع والقبول، وهما المقصود من الدعوة والمناظرة»[126].

تلك أبرز ضوابط مضامين الحوار مع النصارى فيما يتصل بالحقائق العقدية والشرعية، وكذلك الأخلاقية والسلوكية، وبهذا يكتمل جانب الضوابط الخاصة مضافاً إلى جانب الضوابط العامة، وبذلك يصل البحث إلى تمامه.

***

الخاتمة

وبعد: فقد عرف سبق الإسلام إلى الحوار مع النصارى منذ بداياته الأول، وقد قعّد الشرع له قواعده، ورسم مضامينه الكلية وضوابطه العامة؛ ليغدو هذا الأسلوب أحد أهم أساليب الدعوة إلى الله، وفي ختام هذا البحث نستعرض أبرز النتائج والتوصيات:

- **أبرز النتائج:**

أولاً – توصلت الدراسة إلى تعريف مضامين الحوار بأنها: «القيم والمعاني والمفاهيم التي تكون محل الحوار بهدف تبليغها للطرف الآخر». وتأسيساً عليه تمت صياغة تعريف لمقاصد المضامين بأنها: «المصالح الكلية والغايات المعتبرة التي تتحصل من خلال القيم والمعاني والمفاهيم محل الحوار».

ثانياً – أسفرت الدراسة عن أن مضامين الحوار مع النصارى واسعة النطاق، وهي مضامين تندرج ضمن مجالين عامَّيْن، هما: الدعوة إلى الله – تعالى – ويشمل: عرض الكلمة السواء، وبيان نبوة محمد ﷺ والكتاب الذي أنزل عليه ومعجزاته، والإجابة على الشبهات المثارة حول الإسلام، واستعراض وسطية دين الإسلام، ومحاسنه العظام في كل الجوانب. والثاني السياسة الشرعية، ويشمل: مضامين الحوار المتصلة بالكون، ومضامين الحوار المتصلة بالحياة، ومضامين الحوار المتصلة بالإنسان، وتفصيل ذلك في الدراسة.

ثالثاً – أبانت الدراسة أن كثيراً من الحوارات مع النصارى التي تتبناها مؤسسات ومراكز الحوار في العالم، لا تجعل مضامين الدعوة من ضمن أولوياتها، لعلّة مفادها صعوبة مسلك الدعوة، ومن أجل أن لا تُزاحم مضامين من السياسة الشرعية يفرض الواقع الحوار

(126) كتاب آثار ابن باديس (1/ 166).

حولها، ويكاد يكون هذا اتفاقاً معلناً من طرفي الحوار.

رابعاً – أوضحت الدراسة أن مقاصد مضامين الحوار مع النصارى، منها ما يتعلق بالدعوة، ومنها ما يتعلق بالسياسة الشرعية.

خامساً- كشفت الدراسة عن عدد من ضوابط مضامين الحوار، وذلك في محورين الأول: ضوابط عامة، وهي: الضوابط المتعلقة بأصل المضمون، والضوابط المتعلقة بمآل المضمون. والثاني: ضوابط خاصة بالمضون نفسه، وهي فيما يتصل بالحقائق العقدية والشرعية، وأخرى فيما يتصل بالحقائق السلوكية والأخلاقية. وهذه الضوابط بالجملة تحدد مسار الحوار مع النصارى بما يتفق مع غاياته ومقاصده.

- **التوصيات:**

استناداً إلى النتائج السابقة، فإن هذه الدراسة أسفرت عن التوصيات التالية:

أولاً – يوصي الباحث القائمين على منظمات الحوار مع النصارى، بالعناية التامة بمضامين الحوار من خلال تكوين لجان شرعية تقوم بتحديد مجالات المضامين، سواء كان مجال الدعوة أو مجال السياسة الشرعية، واختيار ما يتناسب مع كل مجال، وينسجم في الوقت نفسه مع واقع العالم المعاصر، لتحقق تلك المضامين مقاصدها الشرعية.

ثانياً – يوصي الباحث المؤسسات المعنية بالحوار مع النصارى في مختلف أنحاء العالم، أن تنضوي تحت لواء واحد، يجمع متفرقها، ويقوي ما كان ضعيفاً منها، ويستمد القوة من قويها، ثم وضع استراتيجية محددة للحوار للسير قدماً في ضوئها، متخذة من اتحادها قوة تمكنها من معادلة الجانب النصراني في كثير من المسائل، ومنها عرض مضامين الحوار المناسبة التي تحقق غاية الدعوة من جملة غايات أخرى إنسانية.

ثالثاً – على من يتصدى للحوار مع النصارى من الدعاة والعلماء التعرّف على الضوابط العامة والخاصة للمضامين، حماية للحوار من أن يكون ليس له ثمرة.

رابعاً – أنه، إذا كان الحال اليوم في الحوار مع النصارى على المستوى الرسمي لا يلتفت لعرض مضامين حوار الدعوة، فضلاً عن أن تتصدر الموضوعات؛ فلا أقل من تجويد مضامين السياسة الشرعية، وعرضها بحكمة الداعية؛ لتبلغ الدعوة من ورائها مغانم كثيرة.. ويؤكد الباحث مرة أخرى من منطلق التخصص قدرة الداعية المحاور الحكيم أن يلج من خلال المضامين المتفق على الحوار حولها مهما تضايقت؛ لينفذ منها بدهاء إلى تبليغ الإسلام للمحاورين النصارى.

خامساً – وضع مضامين الحوار - مجالاته، ومقاصده، وضوابطه - في الأهمية بجانب آلياته وطرائقه وآدابه عند الحديث عن الحوار في مختلف الأصعدة،

والتنبُّه لذلك في الأقسام المتخصصة التي تتضمن مقررات الحوار، لما للمضامين من أهمية لا يمكن تجاهلها أو تركها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المصادر والمراجع

الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان. أبو زيد، بكر بن عبدالله. ط1، الرياض: دار العاصمة، 1417هـ.

الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة. العقيلي، أحمد محمد. ط1، الرياض: مطابع خزام، 1414هـ.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

أساليب الدعوة المعاصرة. العمار، حمد بن ناصر. ط2، الرياض: دار إشبيليا، 1418هـ.

الاستقامة. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط2، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1411هـ.

إعلام الموقعين. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. ط1، القاهرة: دار الحديث، 1414هـ.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1395هـ.

البداية والنهاية. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: د. عبدالله التركي، ط1، مصر: دار هجر، 1418هـ.

تاج العروس. مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني. تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، د.ط، د.م: د.ن، 1392هـ.

تاريخ الجدل. أبو زهرة، محمد بن أحمد مصطفى. ط2، بيروت: دار الفكر العربي، 1980م.

تأصيل فقه الأولويات. عبد الرحيم، محمد همام. ط1، قطر: د.ن، 2008م.

تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. ط1، دمشق: دار المكتبي، 1419هـ.

التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر. ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ، 1420هـ.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. المباركفوري، أبو العلى محمد عبد الرحمن. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ.

التدرج في دعوة النبي ﷺ. المطلق، إبراهيم بن عبدالله. ط1، الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1417هـ.

تعريف العيش المشترك. العريض، غازي. ط1، المؤتمر الأول حول تجديد العيش المشترك، لبنان: مركز الدراسات والأبحاث، 1995م.

التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد. القاهرة ط: دار الرشاد، الأولى، ب ت.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ط2، بيروت: دار عالم الكتب العلمية، 1408هـ.

التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية. الرشيد، عبدالعزيز. ط1، الرياض: دار الرشيد للنشر والتوزيع، د.ت.

التنصير. الصالح، عبد الرحمن. ط1، برمنجهام: دار الكتاب والسنة، 1420هـ.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ط1، بيروت: دار الفكر، 1405هـ.
الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. ط1، القاهرة: دار الريان، د.ت.
الجواهر الحسان في تفسير القرآن. الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد. ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.
حضارة العرب. غوستان، لوبون. ترجمة: عادل زعيتر، د.ط، مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1954م.
الحوار أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه، الفيفي، موسى بن يحيى. ط1، المدينة المنورة: دار الخضيري، 1427هـ.
حوار الأديان. أمجوض، عبدالحليم آيت. ط1، المغرب: دار الأمان، 1433هـ.
الحوار الإسلامي المسيحي. عجك، بسام داود. ط1، بيروت: دار قتيبة، 1418هـ.
حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، رؤية إسلامية. العليان، عبدالله علي. ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
حوار أم جدل دراسة مصطلحية لمفهومي الحوار والجدل. نور الدين، عادل. ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1427هـ.
خاتم النبيين. أبو زهرة، محمد بن أحمد مصطفى. ط1، الدوحة: المؤتمر العالمي للسيرة النبوية، 1400هـ.
درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط1، الرياض: جامعة الإمام، ١٩٧٩م.
دعوة التقريب بين الأديان. القاضي، أحمد عبد الرحمن. ط1، الرياض: دار ابن الجوزي، 1422هـ.
الرد على المنطقيين. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ط4، لاهور: المكتبة الإمدادية، د.ت.
زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. ط14، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ.
السنن الكبرى. البيهقي، أحمد بن الحسين. ط1، بيروت: دار الفكر، 1416هـ.
سير أعلام النبلاء. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1410هـ.
السيرة النبوية الصحيحة. العمري، أكرم ضياء. ط6، الرياض: مكتبة العبيكان، 1426هـ.
السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. أحمد، مهدي رزق الله. ط1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1412هـ.
صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل. ط1، الرياض: دار السلام، 1417هـ.
صحيح السيرة النبوية. الألباني، محمد ناصر الدين. ط1، عمان: المكتب الإسلامي، د.ت.
صحيح مسلم. القشيري، مسلم بن الحجاج. ط1، الرياض: دار السلام، 1419هـ.
الصفدية. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط2، د.م: د.ن، 1406هـ.
الفتاوى الكبرى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تقديم: حسنين محمد مخلوف، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1386هـ.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ط1، القاهرة: دار الريان للتراث، 1407هـ.

فتح القدير. الشوكاني، محمد علي. ط1، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

فقه الاحتساب على غير المسلمين. الطريقي، عبدالله بن إبراهيم. ط1، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1416هـ.

فقه السيرة. الغزالي، محمد السقا. تعليق: الشيخ الألباني، ط7، بيروت: دار إحياء التراث العرب، 1976م.

الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع. الشرفي، عبدالمجيد. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير. المناوي، محمد عبد الرؤوف. ط1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.

قالوا عن الإسلام. خليل، عماد الدين. ط1، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1412هـ.

القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية. شبير، محمد عثمان. ط1، عمان: دار الفرقان، 1420هـ.

كتاب آثار ابن باديس. الطالبي، عمار. ط4، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008 م.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. ط1، بيروت: دار صادر، 1412هـ.

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله. ترتيب: د. محمد الشويعر، ط4، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، 1423هـ.

معالم التنزيل. البغوي، محمد الحسين. تحقيق: محمد عبدالله النمر، وآخرون، ط1، الرياض: دار طيبة، 1409هـ.

معجم البلدان. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ.

معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أبو الحسين أحمد. ، د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت.

مقاصد الشريعة الإسلامية. ابن عاشور، محمد الطاهر. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجه، ط1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004م.

منهاج السنة النبوية. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط2، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1411هـ.

الموافقات في أصول الشريعة. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. تحقيق: الشيخ عبدالله دراز، وآخرون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ.

نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار. الرفاعي، حامد بن أحمد. ط1، جدة: المنتدى الإسلام، 1427هـ.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود النصارى. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. تحقيق: مصطفى أبو النصر، ط3، جدة: د.ن، 1418هـ.

***